بسم الله الرحمن الرحيم

توحيد الصفات

أحمدك ربي حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلي سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلي آله وصحبه ومن سار على نهجه ودربه إلى يوم الدين .

الطبعة الأولى
سنة 1412/ 1413 ه
1991/ 1992 م

الطبعة الثانية
سنة 1414 / 1415ه
1994 / 1995 م

رقم الإيداع بدار الكتب 3541 / 1992
الترقيم الدولى I.S.B.N /
977 - 00 - 3230 - 1

دار نور الإسلام للنشر والتوزيع
المنصورة بجوارجامعة الأزهر

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، نحمدك اللهم حمدا يوافي نعمك ويكافئ مزيد فضلك ، ونطلب به رضاك ومغفرتك لانحصي ثناءا عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، ونستعين بك اللهم في قضاء حوائجنا وبلوغ مقاصدنا ، والثبات على منهج سلفنا باتباعنا لكتابك وسنة نبيك صلي الله عليه وسلم ، أما بعد ..

فإن سلامة الاعتقاد من الأمور الأساسية في ديننا الإسلامي فيجب على المسلمين قاطبة تصحيح عقيدتهم ، ومعرفة ربهم سبحانه وتعالى حق المعرفة فالتوحيد من أوجب الواجبات التي خلقنا الله عز وجل من أجلها وأخذ علينا الميثاق بها ثم فطرنا عليها وأرسل إلينا الرسل لإقامة الحجة والتذكير بها ، قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } [الذاريات : 56] وقال أيضا : { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا } [الأعراف : 172] .

وقال جل ذكره : { فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها } [الروم : 30] .

ومن أهم قضايا التوحيد القضايا التي تتعلق بأسماء الله وصفاته وعلى الرغم من وضوح الأدلة النقلية في هذا الباب إلا أن الحقيقة خافية على الكثير من المسلمين حتى العلماء العاملين في الحقل الإسلامي .

فتارة يحتجون بأن الخوض في هذه الأدلة يؤدي إلى الخلاف والفرقة وتارة يعطلون الأدلة عن حقائقها بحجة أن إثباتها يؤدي إلى التمثيل والتشبيه حتى وصل الأمر إلى أن أصبح الحديث عن صفات الله من الأمور المستهجنة عند كثير من الناس .

والحق أنها من القضايا التي لاينبغي الإعراض عنها ، فإن حلاوة الإيمان تكمن في إدراك الإنسان للمعاني المترتبة على صفات الله .

فمن أسمائه سبحانه وتعالى الصمد حيث فطر العباد على إبراز الصمدية فيهم ، فيلجئون إليه في كل وقت ، سواء وجدت الأسباب بأيديهم أو انقطعت ، وفطر العباد على حب الحكمة والقول السديد ليبرز وحدانيته في اسمه الحكيم ، وفطرهم على حب الرحمة ليبرز وحدانيته في اسميه الرحمن الرحيم ، حتى يقول نبينا صلي الله عليه وسلم : (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة) (1)

فكيف يعقل مع هذا أن نترك الحديث عن الصفات المتعلقة بالله عز وجل

1- أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب لله مائة اسم إلا واحدا برقم (6410) وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها برقم (2677) وأخرجه الترمذي في كتاب الدعوات برقم (3506) وابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب أسماء الله عز وجل برقم (3860) .

قال العلامة ابن القيم :

(فلا سعادة للعباد ولا صلاح لهم ولا نعيم إلا بأن يعرفوا ربهم ويكون هو وحده غاية مطلوبهم والتقرب إليه قرة عيونهم ومتي فقدوا ذلك كانوا أسوا حال من الأنعام ، وكانت الأنعام أطيب عيشا منهم في العاجل وأسلم عاقبة في الآجل) (1) .

وقد أكد أيضا أن اشتمال الكتب الإلهية على الأسماء والصفات أكثر من

اشتمالها على ما عادها ، وذلك لشرف متعلقها وعظمته وشدة الحاجة إلى معرفته ، فكان الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره ، وهذا من كمال حكمة الرب تبارك وتعالى وتمام نعمته وإحسانة ، ولما كانت حاجة الناس إلى الهواء أشد من حاجتهم إلى الماء ، كان وجود الهواء أكثر من وجود الماء وكذلك إتاحة الماء أكثر من الطعام واللباس ، فكلما كانت حاجة العباد إلى الشئ أقوي كان عطاء الله لهم أكثر وأسهل ، وإذا علمنا أن ضرورة العبد إلى معرفة ربه فوق كل ضرورة ، فإن العناية ببيانها أيسر الطرق وأهداها وأبينها (2) .

فوجب على العقلاء التنبه إلى خطورة القول بالتفويض وسلب كلام الله عن معناه ، ومحاولة تقبيح الحديث عن الصفات في نفس السامع لأن القول بالتفويض يؤدي إلى استلزامات شنيعة أشدها قبحا يتمثل فيما يلي :

1- انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ح 1 ص 47 .

2- انظر السابق ح 1 ص 48 .

[1] - أن القرآن ملئ بالحشو الذي لا فائدة منه ، مما يحتم حذفه ليوصف بالكمال ، وهذا باطل لقوله تعالى :

{ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه } [فصلت : 42] .

[2] - أن الله عز وجل خاطب عباده بالألغاز والأحاجي وهو قادر على عكس ذلك ، وهذا باطل لأنه يؤدي إلى القول بأن كلام الله بلا معني قال تعالى : { ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين } [النحل : 103]

وقال سبحانه : { الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم } [الزمر : 23] فوصف كلامه بأنه أحسن الحديث .

[3] – أن الرسول صلي الله عليه وسلم بلغ مالايعلم ولم يفهم ماجاء في التنزيل وهذا باطل لقوله تعالى : { وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم } [إبراهيم : 4] .

[4] – أن الصحابة خدعوا أنفسهم بادعائهم الفهم وموافقة النبي صلي الله عليه وسلم في إيمان لا يعلمون حقيقته وهذا باطل لقوله تعالى عنهم :

{ أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم } [الأنفال : 74] ولقوله : { إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون } [الأنفال : 2] .

[5] – أن القول بالتفويض يلزم منه أن ظاهر النصوص يحمل معنى

مستهجن يخاف المفوض من مواجهته ، وهذا باطل لأن الله عز وجل أمرنا بتدبر آياته وفهمها في حدود مدركاتنا فقال جل ذكر :

{ أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا } [النساء: 82] .

وفي الحقيقة إن القول بالتفويض ما هو إلا محاولة للهروب من مواجهة الأدلة لقوة الإثبات فيها .

*** أسباب القول بالتفويض :**

أولا : الجهل بمذهب السلف من ناحية والرفض الداخلي لمذهب الخلف من ناحية أخري ، إذ أن الخلف قاموا بلي أعناق النصوص وذبحها بصورة لاتخفي على عاقل .

ثانيا : رؤية الخلف القاصرة لمذهب السلف الصالح كما قال صاحب جوهرة التوحيد : وكل نص أوهم التشبيها : أوّله أو فوّض ورم تنزيها فهو يدعي أن مذهب السلف الصالح هو التفويض .

ثالثا : تقليد بعض المشاهير الذين تبنوا القول بالتفويض ، وتبني بعض المؤسسات العلمية لهذا الأمر ، وكم جني التقليد الأعمي على أهله من الضلال والضياع ، فالحق لايوزن بالرجال وإنما يوزن الرجال بالحق والمتأمل لسيرة الصحابة الأطهار والأئمة الأربعة يجد أنهم ما حملوا الناس على التعصب لقولهم على حساب المتابعة للنبي صلي الله عليه وسلم وإيثار السنة .

ومما يؤسف له أن ينسب هذا القول الباطل إلى السلف الصالح فالسلف مافوضوا معني الصفة بل فقهوا معاني هذه الصفات ، وأدركوا المراد منها وفوضوا الكيفية لله سبحانه وتعالى بمقتضي قوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] وقوله تعالى : { هل تعلم له سميا } [مريم : 65] ولذلك غضب الإمام مالك رحمه الله على السائل لأنه سأله عن كيفية الاستواء ، وماكان له أن يغضب منه لوسأله عن معني الاستواء الذي لا يخفي على العوام فضلا عن العلماء أمثال الإمام مالك ، ومن تأمل عبارته المشهورة يتبين له حقيقة مذهب السلف الصالح في تفريقهم بين معني الصفة وكيفيتها فقال :

الاستواء معلوم والكيف مجهول .

والأمة بخير ما تمسكت بكتاب ربها وسنة نبيها صلي الله عليه وسلم ومنهج سلفها الصالح الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه والانحراف إنما يأتي عند الإعراض عن وحي السماء والتماس النجاه فيما عداه ، ومن هنا تظهر مواطن الضعف في عقيدة الأمة ويظهر فيها الكثير من الخرافات والأوهام التي ما أنزل الله بها من سلطان .

وهذا الكتاب الذي نقدمه في ثوب جديد لإظهار العقيدة السلفية في صورة مبسطة ومعالجة معاصرة لتثبيتها في نفوس الشباب المسلم قد نفذت طبعته الأولي

في فترة وجيزة ترك الكتاب بعدها أثرا طيبا في نفوس القارئين الذين ينشدون الحق
.

وإني بهذه المناسبة لأتوجه بالشكر إلى إخواني القراء الذين راسلوني بعد صدور الطبعة الأولي وقدموا اقتراحاتهم وتعليقاتهم التي راعيناها في هذه الطبعة ، وأخص بالذكر فضيلة الشيخ إبراهيم شعبان عضو المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، فإنه بعد أن قرأ الكتاب ولم أكن قد رأيته من قبل بعث إلى فضيلته برسالة طويلة يصور فيها صراعه في الدفاع عن مذهب السلف والرد على الشيخ العفيفي وعلماء الخلف المعاصرين لفضيلته من خلال نصف قرن قضاها في الدعوة إلى الله ، مما دعاه أن يكتب قصيدة شعرية طويلة مطلعها : الله فوق العلا رب ومعبود ومما جاء فيها في شأن العقيدة السلفية :

أحب كل خليل قام ينصرها ... وله الثواب من الرحمن معهود
لكن قومي قد اختلفوا على فرق ... والخلف غاية أهل الغي منشود
فعطل الله عن أوصافه حزب ... وشبه البعض والتشبيه مردود
معاشر العمى عن درب الهدي مهلا عودوا إلى النور من ظلماتكم عودوا
لا تركنوا لخواء أو لذي حسب ... فالكل يفني ورب العرش موجود
مات الجويني والرازي على أسف إذ أولوا النص والتواب معبود
والله نرجو أن يهدي لنا إخوة ... طه العفيفي ومن حاكاه ليعودوا
إلى الصواب بإثبات بلا كيف ... ما أثبت الله أو في الخبر موجود

وحرصا مني على أن يخرج الكتاب في صورة تليق بمادته العلمية فقد راجعت النص الأصلي وأدخلت بعض التعديلات اللازمة من حذف
أو إضافة مع تصحيح الأخطاء المطبعية التي وردت في الطبعة الأولي .
كما خرجت الأحاديث النبوية وعزوتها إلى مصادرها بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث ، ليوافق ذلك جميع كتب السنة والبرمجة الحديثة لها في عالم الكمبيوتر ،كما بينت درجة الحديث من ناحية الصحة والضعف إذا كان في غير الصحيحين

وأتبعت الكتاب بالفهارس العامة :

1 – فهرس الآيات القرآنية .

2 – فهرس الأحاديث النبوية .

3 – فهرس الآثار .

4 – فهرس المصادر والمراجع .

وكتبه الشيخ / محمود بن عبد الرازق بن على

الكفر الجديد المنزلة الدقهلية

غرة رمضان سنة 1415 هـ

مقدمة الطبعة الأولي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ،

أرسله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، فكان داعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

قال تعالى : { يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا } [الأحزاب **45** : **46**] .

وقد أنزل الله معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال تعالى : { كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه } [البقرة : **213**] .

وأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نرد الأمر إليه وإلى رسوله صلي الله عليه وسلم عند الاختلاف فقال جل ذكره : { فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير
وأحسن تأويلا } [النساء **59**] .

وقد نفي الله الإيمان عمن حكم غير منهج الله عند الاختلاف أوحكمه ولم يستسلم عن رضا وحب لحكمه صلي الله عليه وسلم قال تعالى : { فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما } [النساء : **65**] .

ومعلوم أن الله قد أكمل دينه وأتم نعمته على عباده المؤمنين الموحدين فأنزل على رسوله : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا } [المائدة : **3**] قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : (أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا وقد رضيه الله فلا يسخطه أبدا) (**1**) وقال تعالى : { ما فرطنا في الكتاب من شئ } [الأنعام **38**] .

وفي حجة النبي صلي الله عيه وسلم قال لأصحابه في المشهد الأعظم في اليوم

الأعظم (2) : (إني قد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إن اعتصتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا :

1- رواه ابن جرير بسنده انظر تفسير ابن جرير ح 9 ص 518 .
2- رواه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي صلي الله عليه وسلم رقم (1218) وأبو داود في كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي صلي الله عليه وسلم وهو جزء من الحديث رقم (1905) وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب حجة النبي صلي الله عليه وسلم برقم (3074) .

نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم أشهد ثلاث مرات) وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم) (1) .

إذا علم هذا فإنه قد ظهر في تاريخ المسلمين اتجاه مخالف لما كان عليه أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم من سلف الأمة في فهمهم لكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وبخاصة في النصوص المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله .

هذا الاتجاه تأسس على تحكيم العقل والهوي في أمور العقيدة وعدم التسليم لأي نص في كتاب الله أو حديث يخالف ماتقرر في أذهانهم من أمور عقلية سقيمة ، فتارة يردونه وتارة يؤولونه على غير ما دل عليه ظاهر اللفظ العربي الذي نزل به القرآن .

هذا الاتجاه هو ماعرف بمذهب الخلف قديما ويصدق عليه من سار على دربهم حديثا ، وقد كان المنطق الأرسطي اليوناني هو المحاط بهالة من التقديس والإعجاب

لدي هؤلاء ، إذ جعلوه أصلا يسيرون على نهجه وميزانا لقياس الأمور العقائدية الثابتة بالوحي ، قال الإمام الرازي فى

1- رواه مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، برقم (**1844**) وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب ما يكون من الفتن ، برقم (**3956**) وروواه أحمد بمعناه ح **7** ص **3** .

أساس التقديس : (ونختم هذا الباب بما ورد عن أرسطاطاليس أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات قال : من أراد أن يشرع في معرفة المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطره أخري) (**1**) .

وعلي ذلك جعلوا كل النصوص الثابتة في الإلهيات لا تدل على ظاهرها لأن الأصل الأرسطي هو عدم فهم ما يتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله بالفطرة التي خلقنا الله عليها .

ومن ثم جعلوا النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي فهمها الصحابة بسليقتهم دون إشكال كما سنري لا تدل على حقيقة معينة تليق بذات الله ولكن جعلوها تدل على أمور مجازية أو معنوية لا اثبات فيها .

قال الإمام الغزإلى معظما المنطق الأرسطي : (إن من لا يحيط به فلا ثقة بعلومه) وبالغ وغإلى غلوا كبيرا في تمجيده حتى جعله ميزانا يزن به كل العلوم والمعارف الدينية وسواها فيقول في كتابه القسطاس المستقيم : (لا أدعي أني أزن بها المعارف الدينية فقط ، بل أزن بها العلوم الحسابية والهندسية والطبيعة والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضعي فإني أميز حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم ؟) (**2**) .

وقد أورد الشيخ طه عبد الله عفيفي في كتابه حق الله على العباد وحق

1- انظر أساس التقديس للفخر الرازي تحقيق د. أحمد حجازي السقا ص 25
2- انظر القسطاس المستقيم ص 104 .

العباد على الله عبارة للغزإلى بعد أن أوّل آيات الصفات وعطلها عن معناها الحقيقي فقال : (قال أبو حامد الغزإلى : من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه) (1) .

والسؤال الذي يطرح نفسه هل يمكن أن يتعارض العقل مع نصوص الكتاب والسنة كما هو مفهوم من عبارة الغزإلى ؟!

لقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذا السؤال في كتاب مستقل سماه : درء تعارض العقل والنقل بين فيه أن العقل الصريح لا يمكن أن يعارض النقل الصحيح أو يناقضه أو يضاده .

وقد زعم الخلف وجود التعارض بين العقل ونصوص الكتاب والسنة وأرادوا أن يجعلوا دلالة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتعلق بصفات الله وأفعاله على وجه الخصوص دلالة باطلة يجب صرفها عن ظاهرها وحقيقتها إلى معني آخر .

وقد أبطل شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الزعم بأن التعارض بين العقل والنقل مرده إلى سببين لا ثالث لهما :

1 – إما أن النقل لم يثبت فيتمسك مدعي التعارض بأحاديث ضعيفة أو موضوعة مكذوبة .

2 – وإما أن العقل لم يفهم النصوص الصحيحة الثابتة في كتاب الله

1- انظر كتاب حق الله على العباد للشيخ طه عبد الله العفيفي ص 104 .

وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم .

ولذلك فإن أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم في خلال ثلاثة وعشرين عاما كانوا يسمعون القرآن ويفهمون معناه ثم يؤمنون به ويعملون بمقتضاه حتى أكمل الله لنبيه ولأمته الدين وأتم النعمة .

وقد كان فيما نزل به القرآن الكريم الإخبار عن الأمور الغيبية كالإخبار عن ذات الله وأسمائة وصفاته وأفعاله وعن اليوم الآخر ووصف الجنة والنار كل ذلك ومما هو في معناه كان القرآن يتنزل به والرسول صلي الله عليه وسول يبلغه ويبينه والصحابة يتلقونه بالقبول ويفهمونه ويؤمنون به ، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تردد أواستشكل شيئا من ذلك .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه : (ما رأيت خيرا من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض صلي الله عليه وسلم كلهن في القرآن يسألونك عن المحيض ويسألونك عن الشهر الحرام ويسألونك عن اليتامي .. ماكانوا يسألونه إلا عما ينفعهم) (1) .

ويذكرالعلامة ابن القيم أن الصحابة قد تنازعوا في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيمانا ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم

علي إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم

1- انظر أعلام الموقعين لابن القيم نشر مكتبة الكليات الأزهرية ج1 ص71 .

لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يبدوا لشئ منها إبطالا ولا ضربوا لها أمثال ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها

بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا وأجروها على منهج واحد ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها أجزاء متفرقة ، فأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه (1) .

وهذا الاتجاه المخالف لفهم أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ومن سلك سبيلهم والمعروف بمذهب الخلف قد احتذا حذوه طائفة كبيرة في عالمنا الإسلامي ، وظن كثير من الإسلاميين أنه مذهب حق وصدق لأنه كما يزعم أصحابه فيه تنزيه لله تعالى عن مماثلة الحوادث والأجسام .

وقد تناسوا في طي ذلك أن أفضل من وحد الله وأفرده بربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وصرف له كل أنواع العبادة هو رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم أصحابه والتابعون لهم ومن سلك سبيلهم بإحسان إلى يوم الدين ، وهم سلفنا الصالح المعنيون بقوله صلي الله عليه وسلم :

1- انظر السابق بتصرف ح 1ص 49 .

(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (1)

وقد ساعد على انتشار هذا الاتجاه المعروف بمذهب الخلف في الوسط الإسلامي تدريسه بين طلبة العلم وتبني كثير من الدعاة له في أحاديثهم وكتبهم .

قال البيجوري في حاشيته مفضلا اتجاه الخلف على طريقة السلف تحت قول صاحب الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها : أوّله أوفوّض ورم تنزيها

(وطريقة الخلف أعلم لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم وهي الأرجح ولذلك قدمها المصنف ، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من

تعيين معني قد يكون غير مراد لله تعالى) (2) .

وأما كتب الدعاة في ذلك فكثيرة وسوف تنكشف للقارئ عندما يزول ستار الجهل بحقيقة مذهبهم ، وقد أخذت أنموذجا منها يوضح مدي تغلغل

1- أخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم باب فضائل الصحابة برقم (3650) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلوهم برقم (2535) وأبو داود في كتاب السنة باب فضل أصحاب الرسول صلي الله عليه وسلم برقم (4657) والترمذي في كتاب الفتن ، باب ماجاء في القرن الثالث رقم (2222) .

2- انظر كتاب المختار من شرح البيجوري على جوهرة التوحيد المقرر على المرحلة الثانوية بالمعاهد الأزهرية ص 109 .

اتجاه الخلف بين كثير من الإسلاميين وناقشته على ضوء الكتاب والسنة ، هذا بعد تعريف واف بالأركان الأساسية التي قام عليها مذهب السلف ومذهب الخلف ، ثم بينت المراد بالمحكم والمتشابه ومعاني التأويل بين السلف والخلف .

والكتاب الذي نستعرضه كأنموذج لمن سلك سبيل الخلف حديثا حتى تتضح الرؤية ويعلم مذهب السلف الصالح هو كتاب : حق الله على العباد وحق العباد على الله للشيخ طه عبد الله العفيفي ضمن سلسلة الحقوق له وأخص بالذكر الجزء الذي أورده في هذا الكتاب عن مذهبي السلف والخلف في الآيات والأحاديث التي تحدثت عن ذات الله وصفاته وأفعاله والتي ركز فيها الشيخ العفيفي على قضية أساسية تمثلت في حديث الجارية عندما سألها رسول الله صلي الله عليه وسلم : (أين الله ؟ فقالت : في السماء ، قال : اعتقها فإنها مؤمنة) (1) وقد حاول المؤلف أن ينفي جواب الجارية بقولها : في السماء وأنه ليس على ظاهره وفسر قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 50] .

بأن الله استولي على العرش ، وقد تناول أيضا بعض القضايا في صفة الكلام واليدين والنزول مما سيأتي تفصيله ومناقشته على ضوء ماورد في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وأقوال السلف الصالح .

وهذا الاتجاه كما سبق اتجاه قديم ازداد انتشارا بعد أن تبناه بعض الخلفاء

1- حديث صحيح وسيأتي تخريجه التفصيلي في موضعه .

المعاصرين للإمام أحمد بن حنبل حتى رفع الله سلطانهم عن العباد ، ولكنه أصبح فكرا عالقا بالأذهان اعتنقه كثير من أهل العلم تحت ما يسمي بالمذهب الأشعري زاعمين أنه مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو برئ منه براءة رحم الفيل من ولد الأتان كما سنري .

قال الحافظ ابن حجر : (وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان وجعلوا كلام الفلاسفة أصلا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو كان مستكرها ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل ، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف واجتنب ما أحدثه الخلف) (1)

هذا وقد ظهرت سلسلة من الردود المتوالية تدافع عن مذهب السلف وتعيد الناس إلى ماكان عليه أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم نشير إلى نماذج منها :

- الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان (ت : 150 ه) .
- الفقه الأكبر للإمام الشافعي (ت : 204 ه) .
- الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل (243 ه) .

– كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (**311** ه) .

1- انظر فتح الباري ح **13** ص **267** .

– العقيدة الطحاوية لأبي جعفر الطحاوي (**321** ه) .

– الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، وقد كان على مذهب الخلف ثم رجع عنه إلى مذهب السلف ، توفي سنة بضع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة .

– الإبانة لابن بطة (**387** ه) .

– الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة للبيهقي (**468**ه) .

أما في القرنين السابع والثامن الهجريين فقد أعز الله دينه بشيخين عظيمين جعلهما الله حربة في قلوب المخالفين لكتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم هما شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فصنفا حشدا هائلا من الردود والمصنفات في خدمة العقيدة السلفية من ذلك كمثال

– ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، الفتوي الحموية الكبري الاستقامة ، العقيدة الواسطية ، منهاج السنة النبوية مجموعة الفتاوي مجموعة الرسائل الكبري ، الصفدية .

– ابن القيم : الصواعق المحرقة ، مفتاح دار السعادة ، مدارج السالكين شفاء العليل ، هداية الحياري ، النونية ، وغير ذلك من المؤلفات العظيمة التي تشكل مع مؤلفات شيخه ابن تيمية دائرة معارف متكاملة للباحثين وكان من أتي بعدهما عالة عليهما .

وإن يكن فضل في كتابي هذا فهو لله أولا ثم لهما رحمها الله رحمة واسعة .

وقد جاء الكتاب وفق الخطة الآتية :

* المقدمة

* الباب الأول : السلف والخلف وقضية التأويل .

وقد اشتمل على فصلين :

* الفصل الأول : بين السلف والخلف .

* الفصل الثاني : معاني التاويل .

* الباب الثاني : أمثلة تطبيقية من الواقع بين السلف والخلف .

وقد اشتمل على ثلاثة فصول :

* الفصل الأول : مسألة العلو بين السلف والخلف .

* الفصل الثاني : حديث الجارية ونصوص الاستواء

والمعية بين السلف والخلف .

* الفصل الثالث : شبهات الخلف في صفات أخري وموقف

السلف منها .

* الخاتمة : وقد اشتملت على قواعد جامعة .

واعلم أخي المسلم :

أن صلاح الأمة في استقامتها على الطريق الذي سلكه أوائلها

* في توحيد الربوبية فلا خالق ولا مدبر إلا الله .

* وفي توحيد العبادة فلا معبود بحق سواه .

* وفي توحيد الأسماء والصفات فهو سبحانه وتعالى لا سمي له فيها لقوله : { هل تعلم له سميا } [مريم : 65] .

ولقوله: { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11]

نسأل الله الاستجابة لكتابه وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وأن نثبت ماأثبته الله لنفسه ، وما أثبته رسوله صلي الله عليه وسلم من غير تحريف ولاتعطيل

ولاتكييف ولاتمثيل .

وأسأل الله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم
وأن ينفع به المسلمين في كل مكان .

وكتبه :
الشيخ / محمود بن عبد الرازق بن على
الكفر الجديد المنزلة الدقهلية مصر
الخميس 22 / 8 / 1412 ه

* * *

المقدمة

الباب الأول

السلف والخلف

وقضية التأويل

الباب الثاني

أمثلة تطبيقية من الواقع

بين السلف والخلف

الخاتمة

الفهارس العامة

أولا

فهرس الآيات القرآنية

ثانيا

فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا

فهرس الآثار

رابعا

فهرس المصادر والمراجع

خامسا

فهرس الموضوعات

╟ل╟ ╚╟╚ل╡├ل

╟ل╚ل╟µ ل╟ل╔▌µ ▌ي╟ ╔ل╡├╩يل

╟ل╒ ل▌ ╟ل╡├ل

[illegible]

[illegible]

لقد انقضي عصر الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المطلق لما جاء في الكتاب والسنة عن ذات الله وصفاته وأفعاله ، ولم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلهم على إثبات مانطق به الكتاب العزيز والسنة النبوية كلمتهم واحدة من أولهم إلى آخرهم ، ولم يسموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإجلال والتعظيم (1) .

والسلف الصالح وهم أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والتابعون وتابعوهم المعنيون بقول النبي صلي الله عليه وسلم :

(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (2) .

لم يخوضوا في آيات الصفات لولا أن وجدوا من المغرضين المضللين من أوّلها على غير معناها مشككا في القرآن الكريم وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم فكانت وقفتهم أصلا في آيات الصفات من أجل التنبيه على التفسير

1- انظر ابن تيمية وقضية التأويل تللدكتور محمد السيد الجليند ص 91 بتصرف .

2- الحديث صحيح وقد سبق تخريجه انظر ص 18 .

الصحيح للنصوص المنزلة قرآنا كانت أم سنة للقضاء على ما انتشر بفعل هؤلاء المضللين من التأويل الفاسد لهذه النصوص (1) .

وهؤلاء المعطلون لصفات الله ابتداء بالجهمية ومرورا بالمعتزلة وانتهاء بالأشعرية

وضعوا أقيسة معينة في أذهانهم لذات الله وصفاته وظنوا أنها تحقق الكمال المطلق لله تعالى .

وقد استقوا هذه الأفكار مما ترجم عن الفلاسفة اليونانين ووضعوا البراهين العقلية والأدلة محكومة بقواعد هذه الفلسفة وأخذوا منها مصطلحات معينة كالطبيعة والجوهر والعرض والأجسام والحركة والحيز والمكان وغير ذلك من المصطلحات التي حاولوا أن يخضعوا كلام الله لها وقد أغفوا في طي ذلك المباينة بين حقيقة الذات الإلهية وبين حقيقة الذات الإنسانية وما ينبغي تصوره في حق الله وحق الإنسان ، فوقعوا في خطأ عظيم بتطبيقهم لمقاييس عالم الشهادة على عالم الغيب فضلوا وأضلوا .

وقد ظهر مفهوم الخلف بصورة محددة بعد وجود هؤلاء الذين أخضعوا كلام الله وصفاته للقوانين العقلية المنطقية الناتجة عن العقول القاصرة المخلوقة وتبلور هذا المفهوم بوضوح أعني مفهوم الخلف فيما ذكره

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

(بأنه يراد به جماعة من المتكلمين ومن تابع منهجهم ومنهج الفلاسفة وابتعد عن منهج أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم ظنا منهم

1- انظر الإبانة عن أصول الديانة تحقيق الدكتورة فوقية حسين ص 94 .

أن ذلك خير من مذهب السلف) (1)

قلت : ويصدق هذا المفهوم على الآخذين بهذا المنهج قديما وحديثا .

وقد بين شيخ الإسلام خطأ فهم الخلف لمنهج السلف وضلال من يزكي مذهب الخلف حيث قال رحمه الله :

(فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا

حذوهم على طريقة السلف ، إنما أوتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم :

{ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني } [البقرة : 78] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف) (2) .

1- انظر فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ح 5 ص 157 ، 359 .

2- انظر السابق ح 5 ص 10 ، ح 11 ص 36 ، 373 وانظر كتاب نجاة الخلف في اعتقاد السلف لابن قائد النجدي ، مقدمة التحقيق للدكتور أبو اليزيد العجمي ص 32 : 33 .

╟ *ل╟ ╧ ╒ ╟╙ل╩ي ╟▌ م ╒ ليه ╟م╚ه ╟ ╚ل╩ل ╟ ▌ل ╟╓ ل: =

تبلورت عبارات السلف الصالح فيما يختص بذات الله وصفاته وأفعاله في أمور أساسية كان الدليل النقلي المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم هو محور الارتكاز الأساسي لكل أقوالهم فيها وهذه القواعد تتمثل فيما يأتي :

[1] – توحيد ذات الرب وصفاته وأفعاله وإفراده عن المثيل والشبيه قال تعالى : { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } [سورة الإخلاص] وقال تعالى : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري :

11] .

وقال : { هل تعلم له سميا } [مريم : 65] .

فلا شبيه ولا نظير ولا ند ولا مثيل له سبحانه في ذاته أو في صفاته ومن الجهل المطبق أن يخضع المرء ربه وخالقة لقوانين العقل ومقاييسه لأن هذه الآيات دلت دلالة قطيعة على عدم قياس ذات الله وصفاته وأفعاله بما يقاس به المخلوق ، فإذا قال الحق تبارك وتعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] علم قطعا أن استواءه لا يخضع لقوانين الجاذبية الأرضية التي كشفها نيوتن فلا يقال : لو كان مستويا على العرش لكان محمولا لأن ذلك لا ينطبق إلا على المخلوق وقد لا ينطبق عليه في بعض الحالات كما سيأتي تفصيله .

[2] – إثبات الصفات على مراد الله عز وجل وعلي مراد رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقد فصل القرآن الكريم في إثبات ذلك ونفي أن يكون له مثيل أو سبيه أو نظير في صفاته يشاركه في شئ من حقيقة الصفة كما سبق .

قال تعالى مثبتا صفاته مفصلا لها : { قل هو الله أحد الله الصمد } [الإخلاص : 1 ، 2] وقال : { وهو العليم الحكيم } [التحريم : 2]

وقال : { وهو السميع البصير } [الشوري : 11] .

وقال : { وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد } [البروج : 14] .

وقال : الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

وقال : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }

[فاطر : 10] وقال : { هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم } [الحديد : 3] .

وقال : { ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم } [محمد : 28] وقال : { وكلم الله موسي تكليما } [النساء :

164] وقال : { هو الله الذي لاإله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسني يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم } [آخر الحشر] وقال : { رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه } [البينة : 8] .

إلى أمثال هذه الآيات والأحاديث الثابتة عن النبي صلي الله عليه وسلم في أسماء الرب تعالى وصفاته على وجه التفصيل وإثبات وحدانيته بنفي التمثيل ما هدي الله عباده إلى سوء السبيل (1) .

[3] –الكف عن طلب الكيفية .

فباستقراء الآيات التي تتعلق بذات الله وصفاته أو الأحاديث النبوية لا نجد آية واحدة أو حديثا يتحدث عن كيفية الذات وصفاقما وكل ما ورد في ذلك كان الهدف منه إثبات حقيقة ذات الله وصفاته وأفعاله بكيفية تليق به لا نعلمها .

وعلي ذلك اجتمعت كل عبارات السلف الصالح لفظا ومعني حيث قالوا : (أمروها كما جاءت بلا كيف)

وإذا بحثنا عن السبب الذي من أجله حجب الله كيفية ذاته أو صفاته أو ما يتعلق بالأمور الغيبية عامة ، نجد الجواب الصريح في كتاب الله تعالى حيث يقول : { ولايحيطون به علما } [طه : 110] .

فالعلة في عدم إدراك الكيفية ليست عدم وجودها ولا استحالة رؤية الله عز وجل ، ولكن العلة هي قصور الجهاز الإدراكي البشري في الحياة الدنيا عن إدراك حقائق الغيب ، فقد خلق الله الإنسان بمدارك محدودة لتحقيق علة معينة تمثلت في الابتلاء لقوله تعالى : { إنا خلقناالإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا } [الإنسان : 2] .

1- انظر الرسالة التدمرية ص 6 بتصرف .

وقد أجريت التجارب والدراسات الحديثة لتقديرالقيم التقريبية للحدود المعينة للمؤثرات الخارجية التي يستقبلها الجهاز الحسي والإدراكي في جسم الإنسان والتي يطلقون عليها في علم النفس العتبات المطلقة للحواس الخمس فوجدوها كالآتي :

الحاسة	العتبة المطلقة
[1]البصر	يدرك شمعة مضاءة تري على بعد30 ميلا في ليل مظلم صاف 290 مليميكرون .
[2]السمع	يدرك دقة ساعة في ظروف هادئة تماما على بعد 20 قدما .
[3]التذوق	ملعقة صغيرة من السكر مذابة في جالونين من الماء .
[4]الشم	يدرك نقطة عطر منتشرة فى غرفة مساحتها 6 أمتار مربعة .
[5]اللمس	يدرك جناح ذبابة يسقط على الصدغ من مسافة 1سم تقريبا .

فإذا كان الجهاز الإدراكي في الإنسان بهذه الصورة في الدنيا فمن الصعب أن يري ما يحدث في القبر من عذاب أو نعيم أو يري الملائكة

أو الجن أو يري ذات الله وصفاته من باب أولي (1) .

ومعلوم أن عدم رؤيته لهذه الأشياء لايعني عدم وجودها فالجن مثلا جهازه الإدراكي يختلف عن الإنسان من حيث القوة قال تعالى في وصفه : { إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم } [الأعراف : 27] وموسي عليه السلام لما طلب رؤية الله لم يكن الجواب باستحالة الرؤية أو نفيها مطلقا ، ولكن النفي معلق بانتهاء الحياة الدنيا فإن الشئ لا يري إلا لسببين :

[1] – خفاء المرئ وهو ممتنع في حق الله .

[2] – ضعف الجهاز الإدراكي للرائي وهذا هو شأن موسي عليه السلام

ولذلك تجلي الله للجبل الذي يتحمل أقصي درجة ممكنة من ضوء الشمس والذي لا يتحملة الإنسان أكثر من تسع دقائق تقريبا ، قال تعالى : { ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا } [الأعراف : 143] .

فمن الخطأ طلب البحث عن كيفية الأمور الغيبية أو الذات الإلهية أوصفاتها في الدنيا ، لأن النواميس التي أوجدها الله في الكون لا تسمح بذلك اللهم إلا إذا حدث خرق للعادة كأن يري بعض الرسل الملائكة أو الجنة أو النار أو بعض أمور الغيب أو ما يعجز الإنسان العادي عن إدراكه .

1 انظر المدخل في علم السلوك الإنساني ص 88 .

أما في الآخرة فالأمر مختلف تماما إذا أن مدركات الإنسان في الآخرة تختلف عن مدركاته في الدنيا كما صح الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك حيث قال : (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال :

اذهب فسلم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن) (1) .

فالإنسان يوم القيامة على صورة آدم طوله ستون زراعا ومن أجل ذلك فإن مداركه وحواسه تتغير بالكيفية التي تناسب أمور الآخرة .

فإذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (إنكم سترون ربكم عيانا)

أو (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون في رؤيته) (2)

1- أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان ، باب بدء السلام برقم (6227) وأخرجه مسلم في كتاب الجنة برقم (2841) .

2- أخرجه البخاري في كتاب المواقيت ، باب فضائل صلاة العصر برقم (554) وباب فضل صلاة الفجر برقم (573) وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } برقم (7434) ورقم (7436) وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في الرؤية برقم (4729) والترمذي في كتاب الجنة ، باب ما جاء في رؤية الرب برقم (2551) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية برقم (1707) وأخرجه أحمد ح 4 ص 360 ، 362 .

علمنا أن إدرك العين المبصرة في الدنيا وقدرتها تختلف عن إدراك العين المبصرة في الآخرة وقدرتها على الرؤية .

من أجل ذلك وجب الإيمان بالرؤية في الآخرة والتسليم بذلك لموافقته للعقل الصريح والنقل الصحيح ، وكذلك الحال في بقية الصفات فنؤمن بها ونثبتها لله

دون طلب للكيفية .

[4] – الترابط بين الذات والصفات .

الأمر الرابع الذي يحدد منهج السلف الصالح هو الترابط بين الذات والصفات فيما تقدم أو وحدة المنهج السلفي من خلال القواعد السابقة في التعرف على ذات الله وصفاته وأفعاله ، لأن إثبات الصفات فرع عن إثبات الذات يحتذي فيه حذوه .

وهو ما عبر عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بالأصلين الشريفين :

1 – القول في الصفات كالقول في الذات ردا على المعتزلة الذين أثبتوا ذات الله ونازعوا في صفاته .

فإن الله ليس كمثله شئ في ذاته ولا في في صفاته ولا في أفعاله فإذا كانت له ذات حقيقية لا تماثل الذوات ، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الذوات .

فإذا قال السائل : كيف استوي على العرش ؟

قيل له : كيف هو ؟

فإن قال : لا أعلم كيفيته ، قيل : ونحن لا نعلم كيفية استوائه إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع عنه وتابع له فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله ، وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟ وإذا كنت تقر بأن له حقيقة ثابته مستوجبة لصفات الكمال لا يماثلها شئ ، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه ثابت في نفس الأمر ، وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستوائهم .

2 – القول فىالصفات كالقول في بعض ردا علىالأشعرية الذين أثبتوا سبع

صفات من صفات الله ونازعوا في بقية الصفات .

فلا يجوز أن نثبت بعض الصفات وننازع في بقيتها لأن منهج القرآن واحد في كل الصفات (1) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

(فإذا كان المخاطب ممن يقول بأن الله حي بحياء عالم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة ، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته ويجعل ذلك مجازا ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات .

1- انظر كتابي القواعد السلفية في الصفات الربانية حيث أوردت فيه هذه القواعد بصورة مبسطة وصياغة مجدولة تكشف النقاط الخفية التي تحدث اللبس عند الدارسين في أكثر من عشرين جدولا، انظر الطبعة الثانية مطبعة دار الوفاء بالمنصورة سنة 1405ه ، 1994م .

فيقال له : لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته ، أي من حيث الوقوع في المحظور أو عدمه ، بل القول في الصفات كالقول في البعض الآخر) (1) .

┤ *م╗ل╚╪╧╔ي▌ ي╔من ╟▌┤ل ╟ل╚ل: ▌

[1]- الإمام مالك :

جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] كيف استوي ؟! قال الراوي : فما رأيت مالكا وجد من شئ كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق ، وأطرق القوم وجعلوا ينظرون ما يأتي منه حتى سري عن مالك فقال : (الكيف غير معقول ، والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، فإني أخاف أن تكون ضالا وأمر به

فأخرج) وروي مثل ذلك عن شيخه ربيعة (1) .

[2] – الإمام أبو حنيفة :

1– انظر الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص11 وما بعدها .

1 – أثر صحيح أخرجه الذهبي وصححه في العلو ص 141 ، 142 وأبو نعيم في الحلية ح 6 ص 325 ، 326 ، والدارمي في الرد على الجهمية ص 55 ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص 664 وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ص 24، 26 والبيهقي في الأسماء والصفات ص 408 .

وأما ما روي عن شيخه ربيعة فهو أثر صحيح أيضا ونصه : (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلي رسوله البلاغ وعلينا التسليم) .

سئل عمن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ قال : قد كفر لأن الله يقول : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] وعرشه فوق سبع سماوات .

قيل له : فإن قال : هو على العرش استوي ولكن لا أدري العرش في الأرض أم في السماء ؟ قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر (1) .

[3] –قال الإمام الشافعي رحمه الله :

القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما : إقرار بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول صلي الله عليه وسلم وأنه تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء (2) .

[4] – قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والسنّة عندنا آثار رسول الله صلي الله عليه وسلم والسنةتفسر القرآن وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب بها الأمثال ولا
تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هي بالاتباع وترك الهوي .

1 – انظر الفتوي الحموية ص 28 .

2 – انظر مختصر العلو للعلي الغفار ص 176 .

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها ، الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال : لم ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها .

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعليه الإيمان به والتسليم له وذكر بقية الاعتقاد في ثبوت الرؤية والقرآن وأمور الإيمان ، وقيل له : الله فوق السماء السابعة على العرش بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان ؟ قال : نعم وهو على عرشه لا يخلو شئ من علمه (1) .

[5] – قال الإمام على بن المديني : السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها ، الإيمان بالقدر خيره وشره ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها لا يقال : لم ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التصديق بها ، وإن لم يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم عليه الإيمان به والتسليم ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق وإن الله عز وجل يكلم العباد يوم القيامة ويحاسبهم ليس بينهم وبينه ترجمان .

وسئل أيضا : ما قول أهل السنة والجماعة ؟

قال : يؤمنون بالرؤية والكلام وأن الله فوق السموات على العرش استوي فسئل عن قوله تعالى: { ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم } [المجادلة : 7] فقال : اقرأ ما قبلها { ألم تر أن الله يعلم ما

1- انظرشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ح1ص156

في السماوات وما في الأرض } (1) .

[6] – قال أبو زرعة الرازي : إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلي لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم بلا كيف أحاط بكل شئ علما : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] وأنه تبارك وتعالى يري في الآخرة يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء ، والجنة والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا والجنة ثواب لأوليائه والنار لأهل معصيته إلا من رحم الله عز وجل (2) .

[7] – محمد بن جعفر :

سئل محمد بن جعفر رحمه الله عن قول الله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] فقال : من زعم أن الله استوي على العرش استواء مخلوق على مخلوق فقد كفر ومن اعتقد أن الله استوي على العرش استواء خالق على مخلوق فهو مؤمن ، والذي يكفي في هذا أن يقول : إن الله استوي على العرش من غير تكييف (3) .

[8] – قال أبو نعيم الأصبهاني : طريقتنا طريقة المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة ، قال : فما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبى

1- انظر السابق ح1 ص 165 وانظر الفتوي الحموية ص29 .
2- انظر شرح أصول الاعتقاد وأهل السنة والجماعة ص 177 .
3- السابق ص 402 .

صلي الله عليه وسلم في العرش واستواء الله يقولون بها ويثبتونها من غيرتمثيل ولا تشبيه ولا تكييف وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه ولا يحل فيهم ولا يمتزج بهم ، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه .

وقال أيضا : وأجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان خلافا لما نزل في كتابه

قال تعالى : { أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] وقال تعالى أيضا : { إليه يصعد الكلم الطيب } [فاطر : 10] وقال تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] (1) .

[9] - قال أبو عمر الطلمنكي :

أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معني قوله :{ وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : 4] ونحو ذلك من القرآن أنه علمه وأن الله تعالى فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء وقال أهل السنة في قوله :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز .

فقد قال قوم من المعتزلة والجهمية : لا يجوز أن يسمي الله عز وجل بهذه الأسماء على الحقيقة ويسمي بها المخلوق فنفوا عن الله الحقائق من أسمائه وأثبتوها لخلقه ، فإذا سئلوا : ما حملهم على هذا الزيغ ؟

1- الفتوي الحموية ص 35 .

قالوا : الاجتماع في التسمية يوجب التشبيه . قلنا : هذا خروج عن اللغة التي خوطبنا بها لأن المعقول في اللغة أن الاشتباه في اللغة لا يحصل بالتسمية ، وإنما بتشبيه الأشياء بأنفسها أو بهيئات فيها كالبياض بالبياض والسواد بالسواد والطويل بالطويل والقصير بالقصير ، ولوكانت الأسماء توجب اشتباها لا شتبهت الأشياء كلها لشمول اسم الشئ لها وعموم تسمية الأشياء به .

فنسألهم : أتقولون إن الله موجود ؟ فإن قالوا : نعم . قيل لهم : يلزمكم على دعواكم أن يكون مشابها للموجودين ، وإن قالوا : موجود ولا يوجب وجود الاشتباه بينه وبين الموجودات . قلنا : فكذلك هو حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم ولا يلزم من ذلك اشتباهه بمن اتصف بهذه الصفات (1) .

[10] – قال العلامة ابن منده :

إن الله سبحانه وتعالى موصوف غير مجهول وموجود غير مدرك ومرئي غير محاط به لقربه كأنك تراه ، قريب غير ملاصق وبعيد غير منقطع وهو يسمع ويري وهو بالمنظر الأعلي وعلي العرش استوي فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شئ محيط (2) .

[11] – قال أبو عيسي الترمذي : بعدما روي حديث أبي هريرة :

1- انظرالسابق ص 264 .

2- انظر مختصرالعلو ص 264 .

(إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها) (1) .

قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا . قالوا : قد ثبتت الروايات في هذا الحديث

ونؤمن به ولا نتوهم ولا نقول : كيف ؟

هكذا روي عن مالك وابن عيينه وابن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث : (أمروها كما جاءت بلا كيف) قال : وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

قال : وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه وفسروها على غير ما فسر أهل العلم ، وقالوا : إن الله لم يخلق آدم بيده وإنما معني اليد ههنا القوة . وقال اسحاق بن راهويه : إنما يكون التشبيه إذا قال : يد مثل يدي أو سمع كسمعي فهذا تشبيه وأما إذا قال كما قال الله : يد وسمع وبصر ولا يقول :كيف ؟ ولا يقول : مثل ؟ فهذا لا يكون تشبيها عنده قال تعالى :

1- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم (63) والترمذي في كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة برقم (161) والنسائي في كتاب الزكاة ، باب الصدقة من غلول برقم (25) وابن ماجه في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة برقم (1842) وأحمد في المسند ح 2 ص 331 والدارمي في كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة رقم (1682) وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص 44 .

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] (1) .

[12] – قال نعيم بن حماد :

من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف به نفسه ولا رسوله تشبيها (2) .

[13] – قال الإمام الخطابي : مذهب السلف في الصفات إثباتها وإجراؤها على ظاهرها ونفي الكيفية والتشبيه عنها (3) .

[14] – أبو عمرو بن عبد البر :

قال أبو عمرو : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا إنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه ، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ، والحق فيما قاله القائلون : بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة (4) .

فهذه أمثلة على ما تقدم ذكر ه من الأمور المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله

1- السابق ص 39 .

2- السابق ص 69 .

3- السابق ص 39 .

4- انظر مجموع فتاوي شيخ الإسلام بن تيمية ص87 .

تبين أن أقوال السلف الصالح تركزت في الأمور الآتية :

[1] –إفراد الله بأسمائه وصفاته بنفي الشريك والمثيل والشبيه وعدم قياسالخالق بما يقاس به المخلوق سواء كان القياس قياسا تمثيليا أو كان قياسا شموليا (1) .

[2] – إثبات الصفات على ما دلت عليه وإجراؤها على ظاهرها مع فهم معناه بنفي التعطيل والتأويل الباطل والتحريف .

[3] –الكف عن طلب الكيفية لخروج الذات والصفات الإلهية عن إدراك الإنسان لحقيقتها أوكيفيتها في الحياة الدنيا .

[4] – وحدة المنهج فىدراسة الأسماء والصفات فلا نفرق بين صفة وأخرى

في الإيمان أو بين صفاته سبحانه وتعالى وذاته .

1- قياس التمثيل : هو إلحاق فرع بأصل في حكم جامع لعلة ومثاله في باب الفقه إلحاق النبيذ بالخمر في الحكم بالتحريم لعلة الإسكار ، أما في باب الصفات : فالممثل جعل صفة الله فرعا وجعل صفته أصلا وحكم بينهما بالتماثل لعلة الاشتراك في الصفة المجردة ، كقول الممثل : له يد كيدي ووجه كوجهي واستواء كاستوائي ، فجعل يده ووجهه واستواءه أصلا ، وجعل يد الله ووجهه واستواءه فرعا ، وحكم بينهما بالتماثل ، لعلة واهية وهي استعمال لفظ اليد في غير الإضافة بين المخلوق والخالق .

أما قياس الشمول : فهو قياس كلي على جزئي كقول المشبه المكيف : لو كان على العرش لكان محمولا ، فالمشبه جعل قوانين الجاذبية الأرضية قاعدة عامة تطبق على الكل ، ثم طبقها على استواء الله كجزء يدخل تحت هذه القاعدة .

╟ *ل╟ ╔╧╒╟▌ل╧ي ╟▌م ╒ليه ╟م╤ه╟ ╚ل╬ل ▌▌ي ╪╟╤يل ╟ل╚╟ ╡

سبق الحديث عن مذهب السلف الصالح واعتقادهم في باب الأسماء والصفات وأن كلمتهم اجتمعت على أنهم يثبتون لله ما أثبته لنفسه وما أثبته رسوله صلي الله عليه وسلم من الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وأن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل يعرف معناه من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد ، وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شئ في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فكما

نتيقن أن الله سبحانه له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات

حقيقية وهو ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله (1) .

أما مذهب الخلف فهو مبني على أمرين أساسين يحددان الدافع لتأويلهم وتبديلهم معاني النصوص الثابتة عن الله ورسوله :

الأمر الأول : هو قياسهم الخالق سبحانه وتعالى بالقوانين والمقاييس التي تحكم المخلوق فلم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو خاص بالمخلوق وهذا ممتنع في الأصل أن يمثلوا الله ابتداء بخلقه أو يقيسوا صفات الله بصفات المخلوق ، فالله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه الوحدانية في ذاته

1- انظر الفتوي الحموية ص 16 بتصرف .

وصفاته وأفعاله فقال : { ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] .

وقال : { هل تعلم له سميا } [مريم : 65] .

وقال: { ولم يكن له كفوا أحد } [الإخلاص : 4] .

ومع ذلك أثبت الصفات اللائقة بجلاله وكماله كما تقدم ذلك ، فعلم أن استواءه ونزوله ويده ووجهه وقدمه وسمعه ويمينه وأصابعه وكل ما أثبته الله لنفسه من الصفات أو أثبته رسول الله صلي الله عليه وسلم ، مخالف في الأصل لاستواء المخلوق ونزوله ويده ووجهه وقدمه وسمعه ويمينه وأصابعه .

فإذا قال سبحانه : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] فهمنا معناه الوارد في لغة العرب وهو العلو والارتفاع ولم ندرك الكيفية لأن ذلك خارج عن مداركنا ، فاستواؤه سبحانه وتعالى ليس كاستواء المخلوق في شئ وما يقاس به المخلوق لا ينطبق على الخالق ومن دقق النظر في قول مالك رحمه الله : (الاستواء منه غيرمجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) علم أن مالكا فرق بين الخالق والمخلوق في الاستواء وجعل استواء المخلوق الذي يخضع

لقانون الجاذبية الأرضية لا يقاس به استواء الخالق ، فمالك رحمه الله أثبت الاستواء بناء على أصل واضح هو انفراد الرب سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله ونفي المثيل والشريك .

وإليك أمثلة من كتب القوم تدل على أن الدافع وراء تعطيلهم وتبديلهم ونفيهم لصفات الله هو هذا السبب لا غير ، وأن هذا هو سر ترديهم في مهالك التعطيل بالتأويل والتحريف والتبديل ومخالفتهم ما دل عليه صريح الكتاب المبين وسنة رسوله الأمين .

* قال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه أساس التقديس في بيان السبب الأول لوجوب تغيير ما دل عليه الكتاب والسنة من أمور حقيقية إلى أشياء معنوية مجازية :

(ورد في القرآن ذكر الوجه وذكر العين وذكر الأيدي وذكر الساق الواحدة فلو أخذنا بالظاهر يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد وعلي ذلك الوجه أعين كثيرة وعليه أيد كثيرة وله ساق واحدة ولا نري في الدنيا شخصا أقبح صورة من هذه الصورة المتخيلة) (1) .

فالإمام الرازي وهو من الرواد الأوائل لمن بعده من الخلف مع جهده الكبير في خدمة دين الله إلا أنه تخيل في ذهنه صورة قبيحة لربه أولا رسمتها الآيات القرآنية حسب زعمه فحاول أن ينفي تلك الصورة بالتحامل على القرآن فيما دل عليه من المعاني الحقيقية فوقع في عدة محاذير :

1- أنه رسم صورة لربه كصورة الإنسان وجعل صورة الإنسان هي أصل القياس لصورة الرب سبحانه وتعالى ، وزعم أن ظاهر الآيات القرآنية الواردة في صفات الله رسمت صورة لربه هي أقبح من صورة البشر .

2- أن ظاهر كلام الله يلزم بتكوين تلك الصورة التي فهمها ، وهذا بهتان عظيم

، فالحق تبارك وتعالى لا يقول كلاما لازمه أنه سبحانه وتعالى بهذه

1- أساس التقديس تحقيق د. أحمد حجازي السقا ص 105.

الكيفية القبيحة التي يعتقدها الرازي والتي حاول نفيها حتى لا يقع في هذا اللازم .

3- أن هذه اللوازم خفيت على رسول الله صلي الله عليه وسلم إذ لم يثبت عنه أنه غير معناها إلى أمور معنوية لا تدل على حقيقة ما ، وهذا يقتضي أنهم أعلم من رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا محض افتراء .

4- أن رسول الله صلي الله عليه وسلم لو علم تلك اللوازم وتركها تدل على هذه الصورة التي ذكرها الفخر الرازي بهذه البشاعة وأوجب التأويل والتبديل من أجلها دون نص صريح منه صلي الله عليه وسلم بوجوب التأويل فما بلغ البلاغ المبين ، إذ كيف يترك الناس قرونا في الضلال حتى يأتي الخلف ليوضحوا للناس أن الرسول صلي الله عليه وسلم وصف ربه بالنقص ، فيجب أن نغير كلامه بالتأويل حتى يدل على الكمال الواجب في حق الله .

5- يلزمه وصف أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم بضيق الأفق وعدم الفهم لأنه خفيت عليهم هذه الصورة التي رسمتها الآيات القرآنية لربهم .

أما إن علم أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أن القرآن قد دل على ما يصبوا إليه الرازي من التمثيل ولم يغيروا المعني إلى أمور معنوية كما فعل هو ، فيلزمه وصفهم بالنقص لأنهم رضوا بالباطل وآمنو للرسل وهم يعلمون أن خالقهم بهذه الصورة القبيحة وكل هذا منقوض بقوله صلي الله عليه وسلم عنهم :

(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) (1)

* وقال الشيخ طه عبد الله عفيفي متأسيا بما جاء عن الرازي في أساس التقديس

: (ومن الآيات المتشابهة أيضا قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] تعلقت المشبهة أيضا بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش ، وهذا باطل من وجوه وذكر منها أن الجالس إن قدر على الحركة والانتقال كان محدثا لأن ما لا ينفك عن الحركة والسكون محدث ، وإن لم يقدر على الحركة كان كالمربوط بل أسوأ حالا منه) (2) .

وحتي لا نقع في هذا التشبيه فالحل المقترح الذي يقدمه الشيخ العفيفي هو وجوب تأويل الاستواء بالاستيلاء والقهر والغلبه .

فالمبدأ الذي وضعه الشيخ طه عبد الله عفيفي لصفات الله هو قياس الخالق على المخلوق فلم يفهم من استواء الخالق إلا ما ينطبق عليه قانون الجاذبية الأرضية في استواء المخلوق ، فشبه الله بالمربوط والمشلول وجعل ذلك هو فحوي دلالة القرآن المتره عن كل نقص تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

فاستواء الله ثابت ولكنه لا يخضع لقوانين الأرض ومقاييس الإنسان بل

1 – تقدم تخريجه انظر ص 18 .

2– انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله للشيخ طه عبد الله عفيفي ص 19 وانظر أساس التقديس للرازي ص 201 .

استواؤه يليق بجلاله كما أجمع على ذلك سلف الأمة ، ومن أجل هذا التمثيل البشع الذي صور به الخلف استواء الله حاولوا أن ينفوا دلالة القرآن الصريحة فأوقعهم ذلك فيما سبق من المحاذير .

الأمر الثاني : الذي يحدد مذهب الخلف أنهم لما نظروا إلى الخالق سبحانه وتعالى بالمقاييس الأرضية التي يقاس بها المخلوق وهم يقصدون بالمشبهة الذين يثبتون الاستواء على الحقيقة بلا كيف وهم السلف الصالح وجدوا أن الصورة

التي يتخيلونها عن ذات الله وصفاته صورة قبيحة كما قال الرازي وغيره فوقعوا بين نارين :

[1- إما أن يكذبوا بآيات الله الواردة في وصف الله بهذه الصورة المذكورة ويعطلونها عن مدلولها كما فعل الجهم بن صفوان وصرح به .

قال أبو نعيم البلخي وكان قد أدرك جهما (1) : كان للجهم صاحب يكرمه ويقدمه على غيره فإذا هو قد هجره وخاصمه ، فقلت له : لقد كان يكرمك ، فقال : إنه جاء منه ما لا يتحمل بينما هو يقرأ سورة طه والمصحف في حجره إذ أتي على هذه الآية : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] قال : لو وجدت السبيل إلى أن أحكها من المصحف لفعلت ، فاحتملت هذه ، ثم إنه بينما يقرأ آية أخري إذ قال :

ما أظرف محمدا حين قالها ، ثم بينما هو يقرأ القصص والمصحف في حجره إذ مر بذكر موسي عليه السلام فدفع المصحف بيديه ورجليه

1- انظر مختصر العلو للعلي الغفار ص 162 .

وقال : أي شئ هذا ؟ ذكره هنا فلم يتم ذكره وذكره هنا فلم يتم ذكره .

قلت : وهم إن فعلوا كما فعل الجهم كفروا لردهم كلام الله عز وجل .

[2- وإما يحولوا مدلول الآيات إلى أمور معنوية مجازية لا تدل على حقيقة معينة وهذا ما فعلوه بالتمام إذ أن ذلك أخف النارين في اعتقادهم .

فكل من حول مدلول الصفة الحقيقية إلى أمور معنوية مجازية لا يحتملها النص وقام بلي أعناق الأدلة وذبحها فهو معطل مبدل لكلام الله تحت ستار التأويل .

* **أمثلة من أقوال الخلف تطابق ما تقدم** : وإليك أمثلة تدل على تعسفهم في إبطال المعاني الحقيقية التي دلت عليها الآيات بالمطابقة .

أولا من كتب الأقدمين :

1] – قال الزمخشري المعتزلي في قوله تعالى : { يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد } [ق : 30] قال: سؤال جهنم وجوابها من باب التخيل الذي يقصد به تصوير المعني في القلب وتثبيته (1) .

فالزمخشري إمام اللغة جعل قول الله الصريح الواضح الحقيقي أمرا معنويا مجازيا لا حقيقة له وجعله مجرد خيال لا يدل على شئ ، فالله تعالى أثبت لنفسه الكلام صراحة كما يليق بجلاله ، وأثبت الكلام لجهنم كما يليق بها وإن كنا لا ندري كيف تتكلم والزمخشري نفي ذلك وجعله مجرد خيال .

1- انظر الكشاف للزمخشري ح 4 ص 9 .

ولو سألنا عن الدافع وراء ذلك ، لوجدنا الجواب في معرفة الأمر الأول الذي يعد الأساس في مذهب الخلف وهو قياسهم كلام الخالق على كلام المخلوق ، فلو كان الخالق متكلما في نظرهم لكان له لسان وفم وهذا أصل الضلال .

وقد حاول أحد المعتزلة أن يتآمر على آية في كتاب الله فيحرفها حتى لايقع في التشبيه على زعمه فقال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة : أريدك أن تقرأ : { وكلم الله موسي تكليما } [النساء : 164] بنصب لفظ الجلالة بدلا من الرفع ليكون موسي عليه السلام هو المتكلم بدلا من ربه ، فقال أبو عمرو : هب أني قرأت الآية كما تريد فكيف تصنع بقوله تعالى : { ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه } [الأعراف : 143] فبهت المعتزلي (1) لأن الآية صريحة في إثبات الكلام لله.

2] – وقال أيضا في تفسير قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض } [الملك : 16] قال : أأمنتم من ملكوته في السماء لأنه مسكن ملائكته (2) .

فحول معني قوله تعالى : في السماء الذي أجمع على معناه الحقيقي سلف الأمة بأسرها ، وأنه بمعني العلو وأن العلو يمتد إلى أعلي شئ في المخلوقات وهو عرشه سبحانه وتعالى الذي هو أعلي سماء فوقنا حوله إلى

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 122 .

2 انظر الكشاف للزمخشري ح 4 ص 13 .

أمر معنوي مجازي لا يدل على حقيقة معينة ، فنفي أن الله في السماء على الحقيقة وجعل الذي في السماء هو ملائكته أو ملكوته ، ولا يمكن أن يجتمع تأويل الزمخشري الباطل ، مع قول أم المؤمنين زينب بنت جحش في وصف ربها عز وجل وعلوه على خلقه : (إن الله أنكحني في السماء) والرواية الأخري التي أفصحت فيها عن مرادها بقولها في السماء : (زوجني الله من فوق سبع سماوات) (1) .

فهي آمنت بعلو حقيقي يليق بجلال الله كما هو المفهوم من صريح القرآن والسنة ودلالة الفطرة ، والزمخشري نفي العلو الحقيقي وجعله شيئا معنويا مجازيا .

3] – قال الرازي في أساس التقديس : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] يجب أن يكون معناه الاستيلاء والقهر ونفاذ القدر وجريان الأحكام الإلهية (2) .

فالرازي أوجب بالحتم والإلزام أن يكون الاستواء معنويا وأن الآية لا تدل إلا على ذلك ، وفي الحقيقة أن الآية لا تحتمل أبدا ما أوجبه الرازي على كلام الله بأي وجه من الوجوه كما سيأتي ذلك بالتفصيل ، وإنما ذلك نفى

1 الروايتان أخرجهما البخاري فىكتاب التوحيد ، باب { وكان عرشه على الماء} { وهو رب العرش العظيم } الأولي برقم (7421) والثانية برقم (7420)

وأخرجهما الترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (3212) ورقم (3217) .
2- السابق ص 163 .

صريح لمدلول كلام الله وتحريف للكلم عن مواضعه وإن حسنت نواياه .

4] – وقال أيضا في كتابه أساس التقديس في قوله تعالى : { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : 64] المراد باليد هنا النعمة أو إفاضة النعم (1) .

فحول مدلول الآية الحقيقي الذي يدل على يدين حقيقيتين ليس كمثله شئ فيهما إلى أمر معنوي لا يدل على شئ ، فجعل الآية : (بل نعمتاه مبسوطتان) بدلا من : { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : 64] وكأن المتكلم يعجز عن قول : (بل نعمتاه مبسوطتان) بدلا من قوله : { بل يداه مبسوطتان } مع أن نعم الله لا تحصي ولا تعد والرازي قد جعل نعمه محصورة في نعمتين وناقض قول الله تعالى : { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } [إبراهيم : 34] .

5] – وقال الرازي أيضا في قوله تعالى : { مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي } [ص : 75] قال : اليدان هنا بمعني القدرة (2) .

فحمّل كلام الله ما لا تحتمله النصوص بوجه من الوجوه ، فهل يعقل أن تكون الآية : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي) بتثنية القدرة ؟!

هذه مجرد أمثلة بسيطة تدل على مدي التجني العظيم على كلام الله ، أما إذا استعرضنا كل ما ثبت عنهم من العبث والتبديل والتحريف لكلام الله لعلمنا أنهم على ضلال مبين ، وقد يسأل سائل عن الدافع الذي جرهم إلى

1 انظر أساس التقديس ص 104 .
2- السابق ص 202 .

ذلك ؟ وما الدليل عليه ؟ أما الدافع الذي جرهم إلى ذلك فهو حكم العقل

الذي يرتضيه كل شخص على ما يري في نفسه من الهوي والاستدلال الباطل بكلام الفلاسفة اليونانين وغيرهم ، فقد بدأ الرازي كتابه أساس التقديس بالمنهج العقلي الذي ارتضاه لنفسه عن أسلافه الفلاسفة فقال :

(المقدمة الأولي في إثبات موجود لا يشار إليه بالحس : اعلم أنا ندعي وجود موجود لا يمكن أن يشار إليه بالحس أنه ههنا أو هناك غيرحال في العالم ولا مباين له في شئ من الجهات الست التي للعالم) (1)

هذه صفة الإله في نظر الرازي فقد نسخ في خياله رسما معينا لربه دفعه إليه هواه وعقله دون نظرفي الكتاب والسنة لاستخراج الحكم في مثل ذلك ثم دخل بهذا النسق الفكري على كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فما وجد فيه مما يدعم رأيه استدل به ، وما خالف ذلك نسفه بكل ما استطاع من أدلة عقلية تحقق له في النصوص النفي والتعطيل والتأويل والتبديل .

ويوضح الشيخ طه عبد الله عفيفي موقف أبي حامد الغزإلى من نصوص الكتاب والسنة في الدلالة على صفات الله فيذكر قوله : (من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصح دينه) (2) .

1 السابق ص 15 .

2- سيأتي رد تفصيلي على تلك العبارة في الرد على الشيخ طه عبدالله عفيفي

.

فالأصل عند الرازي والغزإلى هو العقل الذي يصف الله كيف يشاء ويتجني على عالم الغيب بما يشاء ، وليس الأصل احترام العقل لما وصف الله به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله صلي الله عليه وسلم في ذلك .

وأما الدليل الذي ارتضوا به لأنفسهم هذا الوضع فهو ما ختم به الرازي الباب

الأول من كتابه أساس التقديس حيث قال :

(ونختم هذا الباب بماورد عن أرسطاطاليس أنه كتب في أول كتابه في الإلهيات : من أراد أن يشرع في المعارف الإلهية فليستحدث لنفسه فطرة أخري ، ويستطرد الرازي فيقول : قال الشيخ ابن سينا الرئيس رضي الله عنه موضحا كلام أرسطو : إذا تأمل الإنسان في أحوال الأجرام السفلية والعلوية وتأمل في صفاقما فذلك له قانون ، فإذا أراد أن ينتقل منها إلى معرفة الربوبية وجب أن يستحدث لنفسه فطرة أخري وعقلا آخر ، بخلاف العقل الذي اهتدي به إلى معرفة الجسمانيات) (1) .

قلت : هذه العقيدة التي أخذت عن أرسطاطاليس أو أرسطو هي التي جرّت عليهم وعلي المسلمين البلاء ، فهل تعامل رسول الله صلي الله عليه وسلم والصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم بإحسان فيما يتعلق بالله وصفاته وأفعاله بعقول أخري غير عقولهم ، أم أنهم فهموا صفات الله وما دلت عليه من أمور حقيقية ونفوا عن الله المثيل والشبيه والشريك بتلك العقول ؟!

1- أساس التقديس ص 25 .

وهل ما ذكره الله في كتابه من أسمائه وصفاته يستحيل على العقل البشري أن يفهم ما دل عليه من حقائق ؟! وإن كان كذلك فلماذا خاطبنا الله بها بدلا من أن نكلف أنفسنا المشقة في تحويلها وتبديلها إلى معان أخري ؟! وهل صفات الله المذكورة في كتابه كالاستواء والتزول والسمع والبصر واليد وغير ذلك من الصفات لا يفهم منها إلا ما يفهم من صفات الإنسان ؟! أو لا يفهم منها معني يليق بجلال الله وكماله ؟!

هذا هو اعتقاد من سبق من الخلف الذين بدلوا معاني النصوص الثابتة من

الحقيقة إلى الخيال والمجاز ، ومن هؤلاء من رجع عن ذلك قبل موته .

*** كثير من الخلف رجع إلى مذهب السلف :**

فقد صرح الرازي برجوعه عن مذهب الخلف فقال :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن إقرأ في الإثبات : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } [فاطر : 10] واقرأ في النفي : { ليس كمثله شئ } [الشوري :11] { ولا يحيطون به علما } [طه : 11] { هل تعلم له سميا } [مريم : 65] ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي

وقد صرح كذلك أيضا أبو المعإلى الجويني والشهرستاني بعودهما إلى مذهب السلف الصالح (1) .

فحياهم كلها كانت في نصرة مذهب الخلف ثم أدركوا أنهم لم يكونوا على شئ وأن الحق هو مذهب السلف الصالح الذي دل عليه صريح القرآن والسنة .

ثانيا : أمثلة على التعسف في إبطال المعاني الحقيقية التي تدل عليها النصوص من كتب المعاصرين .

[1 – ما ذكره الشيخ طه عبدالله عفيفي في كتابه حق الله على العباد وحق العباد على الله من أمور اعتقادية تعسفية حول فيها حقائق الصفات إلى أمور خيالية

وهمية ومجازية لا تدل على شئ من صفات الرب سبحانه وتعالى ، وسوف نستعرض كل ما ورد في كتابه من اعتقادات الخلف الباطلة ونردها عليه ، ونذكر تفصيل مذهب السلف الصالح في الشبهات التي أوردها .

[2 – قال الشيخ حسن البنا في كتابه مجموعة الرسائل : نماذج من آيات الصفات قال الله تعالى : { كل من عليها فان ويبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام } [الرحمن : 27] ويبقي وجه ربك أي ذاته قال الزمخشري :

والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين

1- انظر كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ح 1 ص 131 .

وجه عربي كريم ينقذني من الهوان ؟ (1) .

فأنت تري أنه سلك سبيل الزمخشري المعتزلي في تفسير الوجه بالذات لأن إثبات الوجه في نظرهم كما يليق بالله وكما هو مراد الله من الآية يدل على التمثيل والتشبيه من أجل ذلك غير معني الوجه إلى معني الذات .

[3 – وقال أيضا في مجموعة الرسائل في قوله تعالى : { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : 64] مبالغة في الوصف بالجود وثني اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه .

وقال في قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] أي أأمنتم من في السماء سلطانه وقدرته وفي قوله تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } [فاطر : 10] قال : إليه يعلم الكلم الطيب ففسر الصعود بالعلم وفسر الرفع بالقبول .

وقال في قوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا } [الفجر : 22] أي جاء أمره وقضاؤه ففسر المجئ بمجئ الأمر .

وقال في قول رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض وتقول :

1- انظر مجموعة الرسائل ص 321 .

قط قط بعزتك وكرمك) (1)

قال : (حتى يضع رب العزة فيها قدمه) قال الزمخشري : (وضع القدم على الشئ مثل للردع والقمع فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع) (2) فقد حول المعني المفهوم من حقيقة الصفة إلى أمور مجازية لا تدل على شئ .

[4 – وهذا الاعتقاد مع خطورته وفظاعته إلا أنه واقع مقرر على أبنائنا في المعاهد الأزهرية : قال صاحب جوهرة التوحيد :

وكل نص أوهم التشبيها : أوله أو فوّض ورم تتريها

قال الشارح : ومما يوهم الجسمية قوله تعالى : { وجاء ربك والملك صفا صفا } [الفجر : 22] وحديث الصحيحين :

1- أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله : { وتقول هل من مزيد } برقم (4848) (4849) (4850) وفي كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : { وهو العزيز الحكيم } { سبحان ربك رب العزة عما يصفون } برقم (7384) وباب ما جاء في قول الله تعالى : { إن رحمة الله قريب من المحسنين } برقم (7449) وأخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (37) (38) (39) وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير ،

باب تفسير سورة ق برقم (3272) وأخرجه أحمد في المسند ح 2 ص369 ، ح 3 ص 13 .

2- مجموعة الرسائل ص 322 : 324 .

(يترل ربنا في كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقي الثلث الأخير ويقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) (1) فالسلف يقولون : مجئ ونزول لا نعلمه ، والخلف يقولون : المراد وجاء عذاب ربك أو أمر ربك الشامل للعذاب أو المراد يترل ملك ربنا فيقول عن الله : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه إلخ) (2)

وقد ادعي الشارح أن مذهب السلف هو تفويض المعني وهذا باطل لأنه جعل كلام الله بلا معني ، وجعل السلف بمترلة من خاطبه الله بالألغاز والآحاجي وما لا يفهم معناه ، وقد قال مالك رحمه الله في قوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] فمذهب السلف الصالح

1 – أخرجه البخاري في كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل برقم

(1145) وفي كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل برقم (6321) ومسلم فىكتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل برقم (168) (169) (170) وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب أي الليل أفضل برقم (1311) والترمذي في كتاب الصلاة ، باب نزول الرب عز وجل إلى سماء الدنيا برقم (446) وابن ماجه فىكتاب الإقامة ، باب أي ساعات الليل أفضل برقم (1366) والدارمي في كتاب الصلاة ، باب يترل الله إلى السماء الدنيا برقم (1486) وأحمد فىالمسند ح2 ص264 ، 267 ،282 ، 287 ، 504 .

2- انظر كتاب المختار من شرح البيجوري على الجوهرة المقرر على المرحلة الثانوية الأزهرية ص 109 .

الثابت عن الأئمة الأعلام أن آيات الصفات على ظاهرها ولاتدل على المتعارف بين الخلق لأن ما يقاس به المخلوق لا يقاس به الخالق كما تقدم ، فالاستواء معلوم والكيف مجهول ، ولم يقل استواء لا نعلمه ، وكذلك الحال في المجئ والنزول فالمجئ حقيقي ومعلوم ومفهوم وكيفيته لا يعلمها إلا الله والنزول حقيقي ومعلوم ومفهوم وكيفيته لا يعلمها إلا الله فالتفويض في الكيفية وليس في علم المعني المراد كما يدعي الخلف (1) .

وأما ما ذكره عن مذهب الخلف فأنت تري كما تقدم أنه أراد أن يحول المجئ الحقيقي الذي يليق بكمال الله وجلاله إلى مجئ معنوي مجازي عن طريق التأويل المتعسف للمجئ إلى مجئ أمر الله أو مجئ العذاب ،كما أن النزول الحقيقي الذي يليق بجلال الله وكماله حوله وبدله إلى نزول ملك من الملائكة ينوب عن الله فيقول بدلا من ربه : (يدعوني فأستجيب له) .

1- ويجب التنبه إلى هذه النقطة لأنها ترد في كتب القوم كثيرا فقد ذكرها الشيخ العفيفي في كتابه حق الله على العباد وحق العباد على الله ص 97 .

فقال : (إن سلف الأمة وخلقها اتفقوا على أن الآيات والأحاديث المتشابهة مصروفة عن ظاهرها) وسيأتي بيان ذلك .

وذكرها الشيخ حسن البنا في مجموعة الرسائل ص 330 فقال : (ونحن نعتقد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولي)

وقال أيضا ص 331 : (وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا

على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق وهو تأويل في الجملة) .

╠╧╡ *ل╟ن ي╟═╡╤ن ╟ل╚ ╤┌ين م╨╚ي ╟ل╙ل╟╡ ╚ل╟ل╡ ╚من╟ ╟╚ل╤ل╟ل
╚ي م╨╚╟ ╚ل╟ل ╚

أولا : مذهب السلف الصالح وميزانه في قوله تعالى : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] فبدأ سبحانه الآية بالتوحيد أولا وإفراد ذاته عن الأقيسة والقواعد التي تحكم ذوات المخلوقين ثم أثبت الصفات ثانية بالكيفية التي تليق بجلاله وعظمته .

أولا : التوحيد و نفي المثيل والشبيه لقوله تعالى : { ليس كمثله شىء } وذلك يقتضي :	ثانيا : إثبات الصفات اللائقة بجلاله لقوله تعالى : { وهو السميع البصير } وذلك يقتضي :
1- عدم قياس الخالق بما يقاس به المخلوق فلا نقول في الاستواء مثلا : استواء كاستواء بلقيس أو لو كان على العرش لكان محمولا . **2- إبطال عمل العقل في إدراك كيفية الذات والصفات .** **3- الرد على الممثلة والمشبهة الذين مثلوا صفات الخالق بصفات المخلوق .**	**1- إثبات صفات الله بمعانيها حقائقها كما يليق بجلاله سبحانه فلا يوجد من هو أعلم بالله من الله ولا أعلم من رسول الله بالله فالله أثبت لنفسه الصفات بعد أن قرر أنه ليس كمثله شىء .** **2- الرد على الخلف المعطلة الذين عطلوا نصوص الصفات عن معانيها وحقائقها وحرفوها بالتأويل الممقوت .**

ثانيا : مذهب الخلف وميزانه في قول صاحب الجوهرة : (وكل نص أوهم التشبيها أوّله) فبدأ الخلف في فهمهم لنصوص الصفات باعتقادهم التشبيه من خلال الأقيسة المحرمة أولا ، ثم التحامل على نصوص بالتعطيل والتأويل الباطل ثانيا .

أولا : اعتقاد التشبيه لقولهم : (وكل نص أوهم التشبيها) وذلك يقتضي الآتي :	ثانيا : نفي الصفات بالتعطيل والتأويل الباطل لقولهم : (أوّله) وذلك يقتضي الآتي :
1- قياسهم الخالق بما يقاس به المخلوق ، وهو باطل ، فلم يفهموا من استواء الله إلا كما تستوي بلقيس على عرشها . 2- يلزمهم أن القرآن دل على معان باطلة تتعارض مع العقل وهو باطل . 3- أن الخلف أعلم وأحكم من الله ورسوله في التعبير وحسن البيان وهو باطل .	**1- تحريفهم الكلم عن مواضعه بالتأويل وتحميل النصوص مالا تحتمل . 2- تعطيل النصوص عن مدلولاتها الحقيقية التي أرادها الله عز وجل وهذا باطل . 3- تقديم ما يرتضيه العقل والهوي على الأدلة الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم وهو باطل .**

***وشتان بين مذهب السلف الصالح وبين مذهب الخلف !!**

وإن تعجب فعجب قولهم : (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم

) فانظر أيها اللبيب ؟! هل طريقة الخلف أعلم وأحكم من طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم والتابعين وتابعيهم والأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أجمعين ؟! لا ريب أن نجاة الخلف في اعتقاد السلف (1) .

وقد بين شيخ الاسلام ابن تيمية أن مذهب السلف وسط بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسني وصفاته العلا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته ، وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل ، أما المعطلون فإنهم مثلوا أولا إذ لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فجمعوا بذلك بين التعطيل والتمثيل حيث مثلوا أولا وعطلوا آخرا ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاقم ، وتعطيل لما يستحقه الله سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به .

فإنه إذ قال القائل : لو كان الله فوق العرش للزم أن يكون أكبر من العرش أو أصغر منه أو مساويا وكل ذلك من المحال ونحو ذلك من الكلام ، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي

1- انظر في بيان هذه الحقيقة كتاب نجاة الخلف في اعتقاد السلف لابن قائد النجدي تحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي .

جسم كان وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم .

أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شئ من اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام وصار هذا مثل قول الممثل : إذا كان مستويا على

العرش فهو كاستواء الإنسان على السرير والفلك إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا .

فإن كليهما مثل وكليهما عطل حقيقة ماوصف الله به نفسه وامتاز المؤول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي ، وامتاز الثاني بإثبات ما هو من خصائص المخلوقين (فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما) .

والقول الفاصل هو ما عليه الأمة الوسط من أن الله مستو على عرشه استواءا يليق بجلاله ويختص به ، فكما أنه موصوف بأنه بكل شئ عليم وعلي كل شئ قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك ، ولا يجوز أن نثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم المحدوده ، فكذلك هو سبحانه وتعالى فوق العرش ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق وملزوماتها (1) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شئ من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية) (2) .

ويذكرالدكتور محمد السيد الجليند أنه إذا كان الله أعلم بنفسه وبما

1- انظر الفتوي الحموية ص : 17 : 18 بتصرف.

2 انظر السابق ص 18 .

وجب له من صفات الكمال منا ، فما علينا في ذلك إلا تقبل ما وصف نفسه به بدون تأويل لمعناها أو تحريف لألفاظها ، وإذا كان الله قد وصف نفسه بصفات ووصف عباده بصفات فليس معني هذا أن حقيقة الصفتين واحدة فيهما ، بل العقل والمنطق يقرران أن كل صفة تتبع موصوفها سموا وكمالا ورفعة ، وإذا كنا لا نعرف عن حقيقة الذات الإلهية إلا جهلنا بهذه الحقيقة فلماذا نحاول حمل صفاته تعالى على صفاتنا نحن وتصورنا لها ؟ أليس في ذلك مجانبة للصواب ومكابرة للعقل ؟

وإذا كان الله قد أخبرنا عن الكمال الواجب اتصافه به في كتابه متمثلا في

صفاته التي ارتضاها لنفسه ، فأيهما أكثر قبولا لدي العقل أن نستقبل ماوصف الله نفسه مثبتا كما ورد في كتابه أم نتقبله منفيا كما أراد الخلف أن يتصوروه ؟

وهل الخلف كانوا في ذلك أعلم بما يجب لله من الصفات منه بنفسه ؟ أليس في مقالة النفي تجهما في حق الله تعالى وتجهيلا لرسوله حيث يقول هو ورسوله بالإثبات ويقولون هم بالنفي ؟ (1) .

1- انظر ابن تيمية وقضية التأويل ص 109 بتصرف .

قال تعالى : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [آل عمران : 7] .

قال القرطبي في تفسيره : (اختلف العلماء في المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضي قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما : المحكمات من آي القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ، قال بعضهم : وذلك

مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسي ونحو الحروف المقطعة في أوائل السور)

قال القرطبي معقبا على تلك الأقوال : (وهذا أحسن ما قيل في المتشابه) (1)

.

قلت : وبناء على رأي القرطبي فالمحكم ما كان واضح الدلالة والمعنى

1- انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ح4 ص 1029 .

والمتشابه هو الذي استأثر الله بعلمه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا هو والتي أخبرنا بها في كتابه ، ومن ثم فإن القرآن كله محكم باعتبار المعني الذي دل عليه اللفظ وإلا أصبح كلام الله بلا معني ، وباعتبار الكيفية ففيه المحكم والمتشابه فما عاينه الإنسان من الكيفيات التي تتعلق بالمخلوق والتي دلت عليها ألفاظ الآيات ككيفية آداء الصلاة وأفعال الحج فهذا محكم المعني والكيفية ، أما كيفية استواء الخالق وكيفية سمعه وبصره وتكليمه فهذا محكم المعني متشابه في الكيفية ، فلا يدخل في المتشابه معاني الآيات التي وصف الله بها نفسه كما يظن البعض وإلا كانت هذه الآيات مما خاطب الله بها عباده وهم لا يفهمون لها معني .

وإنما يدخل في المتشابه على التفسير الذي قدمه القرطبي الكيفية التي دلت عليها الألفاظ المحكمة من كيفية استوائه تعالى على عرشه وكيفية نزوله إلى السماء الدنيا وغير ذلك من الصفات كما تقدم لأن الله عز وجل لم يبين تلك الكيفيات وإنما عبر عنها بألفاظ مفهومة ومحكمة المعني .

كما أن والشئ لا يعرف إلابرؤيته أو برؤية نظيره ونحن ما رأينا الله وما رأينا له نظيرا ، وإن كان المؤمنون يرونه يوم القيامة ، وعلي هذا المفهوم جاءت أقوال السلف الصالح .

فقال الإمام مالك بن أنس لما سأله رجل عن كيفية الاستواء في قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] ؟

(الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما آراك إلا مبتدعا فأمر به أن يخرج) وقد تقدم

ذلك ضمن الاستشهاد بأقوال السلف على القواعد السلفية (1) .

فالإمام مالك لم يفوض المعني الذي دلت عليه آية الاستواء وإنما فوض علم الكيفية وذلك يتفق مع فهم القرطبي للمحكم والمتشابه .

وفي ذلك أيضا قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : (يخبر الله تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمة على متشابهه عنده فقد اهتدي ومن عكس انعكس ولهذا قال تعالى : { هن أم الكتاب } [آل عمران : 7] أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه وقال تعالى : { وأخر متشابهات } [آل عمران : 7] أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئا آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد) (2) .

وقال أيضا : (وأحسن ما قيل في المحكم والمتشابه : هو الذي قدمناه وهو الذي نص عليه محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله حيث قال :

{ منه آيات محكمات } [آل عمران : 7] فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع لخصوم الباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف ولا تأويل ابتلي الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل ولا

1- انظر ص 36 .

2 انظر تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ح 1 ص 345 .

يحرفن عن الحق) (1) .

قلت : والذي رجحه الحافظ ابن كثير ونص عليه محمد بن اسحاق بن يسار في المتشابه مما ابتلي الله به العباد فقد تعددت الفرق في فهم مثل هذه النصوص دون أن يردوه إلى المحكم من قول الله ورسوله صلي الله عليه وسلم ، فنجد من تلك الطوائف من يعطل صفات الله عن حقيقتها فيمثلها بصفات المخلوقين أو يأوِّلها بما لا تحتمله النصوص مخالفا بذلك ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم تصديقا لقول الحق جل وعلا :

{ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله } [آل عمران : 7] .

وعلي التفسير الذي ذكره القرطبي للمتشابه بأنه مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج إلى غير ذلك من الغيبيات يلزم الوقف على قوله تعالى : { وما يعلم تأويله إلا الله } [آل عمران : 7] .

╟ *ل╟╡╟يل ▌ي م▌ه╡م ╟ل╟ل0 ▌

استعمل السلف الصالح التأويل في عصرهم بمعني لم يعرف بين علماء الكلام ولا غيرهم من المتأخرين ، وكانوا يستعملونه في معنيين :

المعني الأول : هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو معاينة ما دل عليه اللفظ من الحقيقة الخارجية والأثر الواقعي المحسوس لمدلول الكلمة .

1 انظر السابق ح 1 ص 346 .

وهذا المعني هو الذي جاء في آيات القرآن الكريم فلقد تكررت كلمة التأويل في القرآن في أكثر من عشرة مواضع كان معناها في جميع استعمالاتها هو الحقيقة

التي يؤول إليها الكلام أو الأثر الواقعي لمدلول اللفظ المستعمل سواء كان ذلك في الماضي أو في المستقبل كقوله تعالى حكاية عن المشركين وتكذيبهم لأخبار القيامة :

{ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأت تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق } [الأعراف : 53] .

فالله تعالى يخبرنا أنهم يوم يتحققون من وقوع ما أخبرهم به في القرآن من جراء تكذيبهم الرسل يعلمون يقينا أن ما جاءت به الرسل كان هو الحق الذي لا ريب فيه فيقولون : { ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون } [السجدة : 12] { قد جاءت رسل ربنا بالحق } [الأعراف : 53] .

ووقوع هذه الأخبار يوم القيامة هو تأويل ما أخبر به القرآن من الوعد والوعيد والجنة والنار وما يؤول إليه أمر هؤلاء .

وقال تعالى : { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } [يونس : 39] ردا على من أنكر الحقائق التي جاء بها القرآن وقال : { إن هذا إلا قول البشر } [المدثر : 25] لأنهم كذبوا بالقرآن مع عدم علمهم به ولما يأتهم تأويله الذي فيه مصيرهم وعاقبة أمرهم ، ولكون تأويله لم يأتهم بعد فقالوا : إن محمدا قد افتراه وأنشأه وسارعوا في عدائه .

وتأويل أخبار القرآن منه ما مضي كإخباره عن الأمم الماضية وما حدث

لهم من أمور ومنه ما سيأتي كإنبائه عن أحوال القيامة وما فيها من بعث ونشور وحساب وجنة ونار ، والتأويل بهذا المعني قد استعمل في نوعي الأسلوب لأن الكلام نوعان :

[1- إنشائي : وهذا يشتمل على أمور الشريعة التكليفية من الأوامر والنواهي وتأويل الأمر في هذا النوع تنفيذه ومن هنا قال السلف : إن السنة هي

تأويل الأمر وتنفيذه .

وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : (كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن) .

تعني أنه كان ينفذ في سجوده الأمر في قوله تعالى : { فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا } [النصر: 3] (1) .

[2- **خبري** : وهذا يشتمل على إخبار الله عن أمور الغيب كالقيامة

1 رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب التسبيح والدعاء في السجود برقم (817) وفي كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النصر برقم (6983) (6984) ومسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (217) (220) وأبوداود في كتاب الصلاة ، باب الدعاء في الركوع والسجود برقم (877) والنسائي في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة النصر برقم (722) وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها باب التسبيح في الركوع والسجود برقم (889) وأحمد ح 6 ص 42 .

وأحوالها وأهوالها ومن هذا الباب الكلام في ذات الله وصفاته وأفعاله .

وتأويل هذا النوع هو عين المخبر به إذا وقع وليس تأويله فهم معناه وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفا ولا قدرا إلا الله سبحانه وتعالى لأن الله يقول : { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } [السجدة : 17]
.

فإن الله أخبر أن في الجنة خمرا ولبنا وعسلا ونحن نعلم أن حقيقة هذه الأشياء ليست مماثلة لحقيقة مانراه منها في الدنيا بل بينهما تباين عظيم مع وجود نوع من

المتشابه في الأسماء من قبيل المواطأة أوالمشاركة في الأسماء ولكن هناك خاصية لتلك الحقائق في ذاتها لاسبيل لنا إلى إدراكها في الدنيا لعدم وجود نظيرها عندنا ومعرفة هذه الحقائق على ما هي عليه هي تأويل ما أخبر الله به في القرآن ، وهذا هو التأويل الذي اختص الله بعلمه ولا سبيل لأهل العلم إليه لقوله تعالى : { وما يعلم تأويله إلا الله } [آل عمران : 7] فيجب الوقوف على لفظ الجلالة بهذا الاعتبار ، ولكن يجب التنبه إلى أن جهلنا بحقائق هذه الأشياء في ذاتها لا ينفي علمنا بالمعني الذي خوطبنا به في ذلك ، لوجود الفرق الكبير بين علم المعني وبين علم التأويل والكيفية التي دلت عليها النصوص (1) .

1- انظر رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل الكبري ص 10 : 12 بتصرف وانظر ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للدكتور محمد السيد الجليند ص 151 وما بعدها .

وقد استعمل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التأويل بالمعني الأول في الخبر من الكلام وهو وقوع المخبر به ووجوده سواء كان ذلك في الماضي كالقصص التي أخبرنا عنها القرآن ، أو في المستقبل كأخبار القيامة والجنة والنار .

فقد روي أبو الأشهب عن الحسن والربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود رضي الله عنه : { يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم } [المائدة : 105] .

فقال : ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ، ثم قال : إن القرآن نزل حيث نزل فمنه آيات قد مضي تأويلهن قبل أن يترلن ، ومنه آيات وقع تأويلهن علىعهد النبي صلي الله عليه وسلم ، ومنه آيات وقع تأويلهن بعد النبي بيسير ، ومنه آيات يقع تأويلهن يوم القيامة وهو ما ذكر

من الحساب والجنة والنار ، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا وانهوا ، فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تأويلها (1) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الآية : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

1- انظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 107 .

ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [آل عمران : 7] قالت : فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمّىالله فاحذروهم) (1) .

فهؤلاء طلبوا ما لا علم لهم به مما اختص الله بعلمه من الأمور الغيبية وكيفية الصفات الإلهية ابتغاء الفتنة وإثارتها بين المسلمين .

المعني الثاني للتأويل في مفهوم السلف :

استعمل المفسرون التأويل في معني التفسير والبيان ويقصدون به كشف المعني وتوضيح مراد المتكلم ، وهذا التأويل كالتفسير يحمد حقه ويرد باطله وحين قرأ عبد الله ابن عباس قوله تعالى : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب } [آل عمران : 7] .

1- أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة آل عمران برقم (4547) ومسلم في كتاب العلم ، باب متشابه القرآن بلفظ (إذا رأيتم) برقم (2665) وأبو داود في كتاب السنة ، باب بشرح السنة برقم (4598) والترمذي في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة آل عمران برقم (2996) .

قال : (أنا ممن يعلمون تأويله) (1) ومقصده بهذا القول هو العلم وتفسير القرآن وبيانه ، وكذلك دعاء رسول الله صلي الله عليه وسلم له : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (2) .

وكل ما ورد عن ابن عباس من أنه يعلم تأويل القرآن فيجب حمله على معني التفسير والبيان ، ولا يجوز القول بأنه يعلم حقائق الغيب وتأويل الأخبار الواردة عنها في القرآن لأن ذلك من الغيوب التي استأثر الله بعلمها .

والطبري في تفسيره قد استعمل التأويل أيضا في معني التفسير والبيان إذ نجده يقول : تأويل الآية عندنا كذا ثم يشرع في تفسيرها ، وقال أهل التأويل فيها كذا ثم يحكي أقوال المفسرين من السلف فيها ، والأشبه

1 انظر تفسير ابن جرير الطبري ح 6 ص 170 وانظر تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 120وانظر تفسير ابن كثير ح1 ص 328 . 2- صحيح رواه أحمد بلفظه ح 1 ص 266 وابن ماجه في المقدمة ، باب فضل ابن عباس بلفظ (اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب) برقم (166) والطبراني في المعجم الكبير ح 1 ص 84 والحديث أخرجه البخاري بلفظ (اللهم علمه الكتاب) في كتاب العلم باب قول النبي صلي الله عليه وسلم : (اللهم علمه الكتاب) برقم (75) وفي كتاب الوضوء ، باب وضع الماء عند الخلاء بلفظ (اللهم فقهه في الدين) برقم (143) وفي كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس رضي الله عنهما

رقم (3756) بلفظ (اللهم علمه الحكمة) ومسلم بلفظ (اللهم فقهه) في كتاب فضائل الصحابه ، باب فضل عبد الله بن عباس رقم (138) .

بتأويل الآية كذا ومراده بكل ذلك تفسيرالآية وتوضيح معناها ونظرا لكثرة استعمال التأويل في هذا المعني عند السلف ولشيوعه بينهم اختلط بمعني التفسير وأصبح كل منهما يستعمل حيث يستعمل الآخر ، فإذا كان مقصدهم بالتأويل هو التفسير وتوضيح المعني المخاطب به فإنه يجوز الوقف على قوله تعالى : { والراسخون في العلم } [آل عمران : 7] بعطف الراسخين في العلم على لفظ الجلالة .

[illegible] :

اشتهر التأويل في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول بمعني صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معني تحتمله إذا كان هذا المعني الذي تصرف إليه الآية موافقا للكتاب والسنة .

وقد اشتهر هذا التأويل فىكتب الأصول والفقه وكأنه هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل وأصبح من الشهرة بحيث توجوهل بجانبه المعني السلفي أو المعني اللغوي العام الوارد في القرآن الكريم .

وقد استخدم المتكلمون أو الخلف التأويل بهذا المعني في غير موضعه إذ

أنهم صرفوا المعني الظاهر إلى معني باطل لا يحتمله النص بحال ، فابتدعوا له استعمالا ممقوتا في نصوص الصفات الإلهية على وجه الخصوص .

فقالوا : لابد من صرف النص عن المعني الذي هو مقتضي لفظه إلى معني آخرلأن إثبات الصفات لله يقتضي مشابهته لخلقه فجعلوا معاني كل آيات الصفات من المتشابهات المصروفة عن ظاهرها وقد تقدم أن المتشابه هو كيفية الصفة لا معناها .

فالسلف كفوا أنفسهم عن الخوض في كيفية الصفات الإلهية دون المعني المقصود ولذلك قال مالك : الاستواء معلوم والكيف مجهول لأنه لا يعلمه إلا الله ، وهؤلاء يريدون أن تكون الآيات التي تتحدث عن الصفات بمترلة الكلام الأعمي الذي لا يفهم أحد معناه ، وإذا طولبوا بمعناه فسروه على أهوائهم بما يصدم كلام الله ويبطله .

[illegible]

وضع شيخ الإسلام ابن تيمية رسالة خاصة بمنهج السلف الصالح في تفسير آيات القرآن سماها : قاعدة في أصول التفسير وطبعت تحت عنوان مقدمة في أصول التفسير وضع فيها القواعد السليمة في تفسير القرآن ومن خلال تلك القواعد جاءت أنواع التأويلات الباطلة الممقوتة التي تخالف مقتضي اللغة والتي أطلق عليها شيخ الإسلام ابن تيمية كلمة التحريف متمثلة في الآتي :

[1] – كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب ، كتأويلهم لفظ الأحد بأنه المجرد من الصفات أوهو الذي لاجزء له ولاقسيم له فإن هذا غير معروف في لغة العرب .

[2] – كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تثنية وجمع وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر كتأويلهم قوله تعالى : { ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي } [ص : 75] بأن اليدين هما القدرة أو النعمة ، فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنين أما وهو في صيغة التثنية وفي هذا التركيب بالذات فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعني .

[3] – كل تأويل لا يحتمله السياق المعين وإن جاز في غيره كتأويلهم قوله تعالى : { هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك } [الأنعام : 158] بأن إتيان الرب هنا معناه إتيان بعض آياته أوإتيان أمره

فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال .

[4] – كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ في ذلك المعني المراد في لغة المخاطب وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : { فلما جن عليه الليل رأي كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين } [الأنعام : 76] فإن هذا غير معهود في لغة العرب البتة بل المعهود الأفول بمعني الغياب فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه لأنه نوع

1- انظر في أنواع التاويلات الباطلة مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص43 وما بعدها .

من التلبيس .

[5] – التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة لأن هذا لا يقصده المتكلم الذي يريد في خطابه هدي الناس والبيان له (1) .

واعلم أن جميع التأويلات التي ازدحمت بها كتب الخلف لا تخرج عن واحدة مما سبق ، وكذلك معظم التأويلات الواردة في كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله الذي نحن بصدده إذ ليس للتأويل دليل لغوي صريح ولا أثر منقول صحيح بل رائده الهوي والتعصب المذهبي .

ولاتغزنك الأشكال اللفظية المزخرفة بأنواع البديع وأجناس البيان التي حالوا بها ترويج ابتداعاهم تحت ستار التأويل ولو حسنت نواياهم أومحاولتهم همجين المعني الأصلي المسوقة له الآية وتقبيحه إلى نفس السامع كتسميتهم إثبات الصفات الإلهية كما يليق بجلال الله تشبيها وتمثيلا وتجسميا ، وكتسميتهم للعرش بالحيز أو الصفات بالعراض ، وكقولهم : إن ربكم متره عن الأعراض والأبعاض والتركيب

والتجسيم .

ولا يشك مسلم أن الله متره عن كل نقص وعيب وأنه موصوف بصفات الكمال التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله صلي الله عليه وسلم ، ولكن مراد هؤلاء أن يجعلوا أوصاف الكمال في القرآن وفي السنة دالة على غير ذلك من صفات النقص وإن كانت نيتهم التتريه ، ومن أجل ذلك عطلوا مادل عليه القرآن من نصوص الصفات ووقعوا في محاذير لا حصر لها .

*ل╖╟µـــم ╟لµـــل ╟╚ل╡µـــ╚يل ╟لـــ╪╫╟╚ل :

إذا علم ذلك فاعلم أن القول بالتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره بدعوي أنه ليس مرادا يتضمن محالات كثيرة ولوازم باطلة منها على سبيل المثال لا الحصر :

[1 – أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم قد ترك الناس في ذلك بدون بيان للحق الواجب سلوكه ولم يهد الأمة بل رمز إليه رمزا وألغز ألغازا ومعلوم أنه ليس في الرمز والألغاز بيان .

[2 – أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم قد تكلم في هذا الباب باب الصفات بما ظاهره خلاف الحق ، ولم يتكلم في ذلك كلمة واحدة توافق مذهب الخلف المتكلمين من النفاة .

[3 – الطعن في القرآن الذي هو تبيان لكل شئ وهدي ورحمة وقول فصل ليس بالهزل وأن من قال به فقد هدي إلى صراط مستقيم ، وأين الهداية إذا كان ما يقوله المتأولون حقا ؟!

[4 – الطعن في وظيفة الرسول التي هي البلاغ والله وصفه بأنه قد بلغ البلاغ المبين ، وقد نزل قوله تعالى قبل وفاته صلي الله عليه وسلم : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } [المائدة : 3] فإذا كان حقا ماذهب إليه المتأولون فأين كمال الدين وتمام النعمة ؟! بل أين البلاغ

المبين وأين الهدي والبيان ؟!

هذا وقد وقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وجه أولئك الذين سماهم بأهل التحريف والتبديل وقفة مسلم يغار على دينه ، فمن المحال أن يكون الرسول قد ترك الناس في هذا الأمر الأهم بلا بيان لما يجب اعتقاده حتى يأتي أمثال الخلف والعقول القاصرة من المتكلمين ليبينوا للناس مانزل إليهم من ربهم .

ومحال أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم قد استعمل في خطابه ألفاظا لا يفيد ظاهرها إلا الإلحاد والضلال والتشبيه .

ومحال على من أرسله الله هاديا ومبينا أن يستعمل في خطابه رموزا وطلاسما لا يفهمها المخاطب ، فاللهم ثبتنا على صراتك المستقيم .

* * *

الباب الثاني

أمثلة تطبيقية من الواقع المعاصر

بين السلف والخلف

الفصل الأول

مسألة العلو بين السلف والخلف

* توطئة :

ومحاولة لتثبيت اعتقاد السلف الصالح في أذهان المسلمين في العصر الحاضر أوردت تطبيقا عمليا في مناقشة منهج الخلف من خلال ماكتبه أحد

المعاصرين الممثلين لمنهجهم .

وقد قمت بعرض الرؤية السلفية للشبهات والمسائل التي أوردها مؤيدا بها مذهب الخلف ، وبينت مدي التنافر بين المنهجين ، إذ أن منهج الخلف عند التحقيق كما سبق وكما سيأتي إن شاء الله لا يمكن أن يجتمع مع مذهب السلف في خط واحد ، فنجاة الخلف تكمن في التزامهم طريقة السلف .

وقد أخذت كتابا منتشرا بين العامة والخاصة كشريحة فكرية تكشف عن حقيقة مذهب الخلف في العصر الحاضر وهو كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله لمؤلفه الشيخ طه عبد الله العفيفي غفر الله له .

وقد كان التركيز في معظم هذا الباب على مسألة العلو عند مناقشة شبهات الخلف لما لها من أهمية بالغة في كشف اعتقاد المخالفين لمنهج السلف أو لكونها حازت الجزء الأكبر من مسائل توحيد الصفات .

وقد استهل الشيخ العفيفي كتابه في بيان موقفي السلف والخلف من قضية الصفات بقوله :

(والذي أريد ان أوقفك على مذهب السلف والخلف في المتشابه حتى لا تنحرف عن التوحيد الخالص ، فحسبي أن أسوق إليك هذا السؤال ، قال السائل : ناقشنا شخص في مكان الله سبحانه وتعالى ونحن نعتقد أن الله تعالى ليس له مكان فأبي إلا أن الله في السماء مستدلا بحديث الجارية ، فنرجوا التفضل بشرح هذا الحديث وهل يجوز الأخذ بظاهره وحاشا أن نعتقد ذلك ؟

وجواب ذلك : أن سلف الأمة وخلفها اتفقوا على أن الآيات والأحاديث المتشابهة مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : **11**] .

غير أن السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى وقالوا : إن الوقف على قوله تعالى :

{ وما يعلم تأويله إلا الله } [آل عمران : 7] .

وأما الخلف فأوّلوها وحملوها على معان معقولة مقبولة فبينوا المراد منها وقالوا : إن الوقف على قوله تعالى :

{ والراسخون في العلم } [آل عمران : 7] .

فقوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] **يقول فيه السلف : هو مصروف عن ظاهره ويفوضون علم المراد منه إلى الله تعالى ، والخلف يقولون :**

هو مصروف عن ظاهره والمراد من استوي استولي (1) .

*** مناقشة السؤال والجواب على ضوء مذهب السلف الصالح :**

أولا : **قوله ناقشنا شخص في مكان الله سبحانه وتعالى ونحن نعتقد أن الله ليس له مكان فأبي إلا أن الله فىالسماء مستدلا بحديث الجارية .**

قلت : نفي المكان عن الله بمفهوم الخلف لايستلزم نفي علو الله تعالى على خلقه بمفهوم السلف لأن المكان له وجهان :

[1] – إما أن يراد به ما كان محصورا في محيط المخلوقات من العرش والكرسي والسماوات والأرض ، أي ما كان محصورا في داخل العالم وهو ما يطلق عليه السلف المكان الوجودي (2) .

وقد فهم الخلف أن معني قوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] .

أو قول الجارية : (في السماء) الظرفية وأن الله محصور داخل هذا المحيط المذكور .

1 انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص97 والسؤال موجه إلى الشيخ أمين محمود خطاب ، ونقل الشيخ العفيفي إجابته بنصها من كتابه

الفتاوي الأمينية .

2انظر مختصر العلو للعلي الغفار ص 72 .

وهذا باطل من وجهين :

1] – أن الله سبحانه وتعالى أعظم من أن تحيط به مخلوقاته بل قد وسع كرسيه السماوات والأرض قال تعالى :

{ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه } [الزمر : 67] .

وقال تعالى : { وكان الله بكل شئ محيطا } [النساء : 126]

وقال صلي الله عليه وسلم : (يقبض الله يوم القيامة الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟) (1) .

2] – أن معني { في السماء } في العلو وهذا العلو يمتد إلى أعلي شئ في المخلوقات وهو عرش الرحمن الذي هو فوق سبع سماوات حيث يخبر رب العزة عن نفسه قائلا :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

ولم يفهم أحد من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم أن

1 أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { ملك الناس} برقم (7382) وأخرجه مسلم في كتاب المنافقين ، باب صفة القيامة والجنة والنار برقم (23) وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب في ما أنكرت الجهمية برقم (192) والدارمي في الرقاق ، باب في شأن الساعة ونزول الرب برقم (282) .

معني { في السماء } الظرفية وأن الله داخل السماء أو أن السماء تحرزه ومن دقق النظر في قول أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها : (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات) والرواية الأخري الثابتة عنها : (إن

الله أنكحني في السماء) (1) علم أنها تعني قطعا أن الله في العلو فوق سبع سماوات عال على عرشه بائن من خلقه لا شئ من ذاته في خلقه ولا خلقه في شئ من ذاته ولا تعني شيئا غير ذلك وقد اجتمعت كلمة المفسرين من أهل السنة على ذلك لا يختلفون فيه ولا يجوز الحمل على غيره (2) .

[2] – وإما أن يراد بالمكان ما كان خارجا عن محيط المخلوقات من العرش والكرسي والسماوات والأرض ، أي ما كان خارجا عن العالم بأسره ، وهو ما يطلق عليه السلف المكان العدمي أي الذي تنعدم فيه الأقيسة البشرية (3) .

والمكان بهذا الاعتبار لا يخضع بحال لمقاييس المكان في حسابات المخلوقين فمكان الشئ يحدد في حساب المقاييس العقلية الحديثة

1 حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص 53 .

2 انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 160 .

3- انظر مختصر العلو للعلي الغفار ص 73 .

باعتبار ثلاثة محاور رئيسية متعامدة ، اثنان يمثلان المستوي الأفقي الموازي لسطح الأرض والثالث يمثل الارتفاع عن ذلك المستوي فأجسام الدنيا يحدد مكانها بمدي الارتفاع في المحور الرأسي عن مستوي المحورين الأفقيين ، ولا شك أن هذه المقاييس المكانية لا تصلح بحال ما في قياس ما هو خارج عن محيط العالم فضلا عن عدم صلاحيتها في تحديد أماكن الفضاء الخارجي لرواد الفضاء ، فرئد الفضاء يسير بمركبته خارج نطاق الكرة الأرضية لايدري عن عامل الزمان شيئا إلا بالاتصال المباشر بمن على الأرض ليحدد المدة التي التي يمكثها خارج الأرض ، وذلك لوجود الظلام الدامس وبعده عن إدراك الزمان الناشئ عن تعاقب الليل والنهار والذي لا يفهم إلا في نطاق الكرة الأرضية .

وكذلك الحال بالنسبة لتحديد المكان حيث يعجز عن تحديد المستوي

الأفقي الذي يقيس من خلاله ضابط المكان .

ومن ثم فلا يصلح بحال أن نمنع دلالة الآيات والأحاديث بحجة أننا لو أثبتناها لكان الله في مكان وما كان في مكان فهو حادث مخلوق .

وعلي ذلك إذا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم للجارية : (أين الله ؟ فقالت : في السماء) .

وشهد لها رسول الله صلي الله عليه وسلم بالإيمان ، علم أنه لا إشكال في ذلك وأن الأمر واضح جلي ظاهر ولا يستلزم ما قاله الخلف .

قال نعيم بن حماد : (وليس فيما قاله الله ورسوله تشبيها) (**1**) .

ويجب أن يعلم أيضا أن رسول الله صلي الله عليه وسلم سأل الجارية بلفظ الأين الذي يدل على المكان من وجهة نظر الخلف والذي يمنعون السؤال به في حق الله ، ولا شك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلم أن أين الاستفهامية المكانية تدل على المكان في حق المخلوق ، ولكنه بالرغم من ذلك سأل عن الله بأين ؟ وأجابت الجارية بقولها : في السماء وقال صلي الله عليه وسلم لسيدها : (اعتقها فإنها مؤمنة) (**2**) .

فأي اعتراض منهم على ذلك إنما هو اعتراض على رسول الله صلي الله عليه وسلم ووصف له بعدم العلم أو بعدم القدرة على التعبير عن المراد .

ثانيا : قوله : **(أما بعد فإن سلف الأمة وخلفها اتفقوا على أن الآيات والأحاديث المتشابهة مصروفة عن ظاهرها لقوله تعالى :**

1- تقدم ذكره ص **43** .

2 أخرجه مسلم في كتاب المساجد ، باب تحريم الكلام في الصلاة برقم (**23**)

وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة ، باب تشميت العاطس في الصلاة برقم (930) وفي كتاب الأيمان والنذور ، باب في الرقبة المؤمنة برقم (3282) وأخرجه النسائي في كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة برقم (1218) وأخرجه مالك في كتاب العتق ، باب ما يجوز من العتق في الرقاب برقم (8) وأخرجه أحمد في المسند ح 5 ص447 ، ص 448 .

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] **غير أن السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى وقالوا : إن الوقف على قوله تعالى :**

{ وما يعلم تأويله إلا الله } [آل عمران : 7] .

وأما الخلف فأولوها وحملوها على معان معقولة مقبولة فبينوا المراد منها وقالوا : إن الوقف على قوله تعالى :

{ والراسخون في العلم } [آل عمران : 7] .

قلت : كلامه يخالف الحقيقة من وجوه :

[1] – زعمه أن سلف الأمة وخلفها اتفقوا على أن الآيات والأحاديث المتشابهة مصروفة عن ظاهرها ، وحقيقة الأمر أن مذهب السلف مباين لمذهب الخلف ، فالسلف يقولون في آيات الصفات وأحاديثها :

هي على ظاهرها معلومة معناها مجهولة كيفيتها ولا يقاس الله بما يقاس به خلقه لأنه تعالى { ليس كمثله شئ } [الشوري : 11]

فالصفات ثابتة وحقيقية كما يليق بجلال الله .

والخلف يقولون : إن آيات الصفات وأحاديثها مصروفة عن ظواهرها الحقيقية إلى أمور معنوية مجازية ، لأننا لو أثبتنا هذه الصفات لكانت مشابهة لصفات المخلوقين وقد تقدم بطلان ذلك .

[2] – زعمه أن السلف فوضوا علم المراد منها إلى الله تعالى وقد سبق أن منهج السلف هو تفويض الكيفية وليس علم المراد ، لأن ذلك يعنى

أهم لم يفهموا معاني النصوص التي خاطبهم الله بها في كتابه وأنها بمنزلة الألغاز والرموز والأحاجي .

روي أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن الأوزاعي قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير أحاديث الصفات فقالا : أمروها كما جاءت ومكحول والزهري من أئمة السلف المشهورين وأعلم التابعين في زمانهم .

وروي أيضا عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف (1) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معقبا على ذلك : (قولهم : أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان فوكانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم غير مراد ، أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لايوصف بمادلت عليه حقيقة وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ : بلا كيف إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول) (1) .

1- انظر الفتوي الحموية ص 28 .

2- انظر السابق ص 28 .

[3] – زعمه أن تأويلات الخلف معقولة ومقبولة والحقيقة أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه بلي أعناق النصوص وذبحها وهذا أشد قبحا من نفيها وتعطيلها .

ويذكر العلامة ابن القيم أن التأويل شر من التعطيل والتكييف والتمثيل لأنه يتضمن التشبيه والتعطيل والتلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها ، فإن المعطل

والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات وامتاز المؤول بتلاعبه بالنصوص وإساءة الظن بها ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال .

فجمعوا بين أربعة محازير :

1- اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله محال باطل ففهموا التشبيه أولا .

2- ثم انتقلوا منه إلى المحذور الثاني فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي لا يليق بهم ، ولا يليق بالرب سبحانه وتعالى .

3 - المحذور الثالث نسبة المتكلم الكامل العلم ، الكامل البيان التام النصح إلى ضد البيان والإرشاد ، وأن المتحرين المتهوكين أجادوا العبارة في هذا الباب وعبروا بعبارة لاتوهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص ، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتعين أنهم أعلم منه أو أنصح للناس .

4- المحذور الرابع تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرمتها ومن ثم فلا يمكن أن تكون تأويلات الخلف معقولة ومقبولة كما زعموا (1) .

ثالثا :

قوله : **(وقوله تعالى :** { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5]
يقول فيه السلف : هو مصروف عن ظاهره ويفوضون علم المراد منه إلى الله تعالى ، والخلف يقولون : هو مصروف عن ظاهره والمراد من استوي استولي)

قلت :

مذهب أهل السنة والجماعة أن الاستواء معلوم معناه وهو العلو والارتفاع مجهولة كيفيته ، لأنه لا يعلم كيف هو إلا الله .

فالآية على ظاهرها ولا يفهم منها التشبيه والتجسيم كما زعم الخلف

فالسلف لم يفوضوا علم المراد من الآية ولكنهم فوضوا كيفية الاستواء ولم

ينفوا حقيقته وهذا معلوم من قول مالك وشيخه ربيعة رحمهما الله :

(الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة وعلي الرسول البلاغ وعلينا التصديق) وقد تقدم ذلك (2) .

1- انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ح 1 ص 37 .
2 أثر صحيح تقدم تخريجه ص 36 .

وأما قول الخلف إن معني استوي استولي فهو باطل بالنقل والعقل ولا يمكن أن يحوز القبول بوجه من الوجوه .

وقد فند العلامة ابن القيم ادعاء الخلف بأن الاستواء بمعني الاستيلاء من اثنين وأربعين وجها وبين ضلال من اعتقدوا ذلك ومن هذه الوجوه :

[1 - أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان : مطلق و مقيد .

* فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى :

{ ولما بلغ أشده واستوي } [القصص : 14] وهذا معناه كمل وتم يقال : استوي النبات واستوي الطعام .

* وأما المقيد فثلاثة أضرب :

أحدها : مقيد بإلى كقوله تعالى : { ثم استوي إلى السماء } [فصلت : 11] واستوي إلى السطح وإلى الغرفة .

وقد ذكر سبحانه هذا المعدي بإلى في موضعين من كتابه :

1- في سورة البقرة في قوله تعالى : { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوي إلى السماء } [البقرة : 29] .

2- في سورة فصلت قال تعالى : { ثم استوي إلى السماء } [فصلت : 11] وهذا بمعني العلو والارتفاع بإجماع السلف الصالح .

والثاني : مقيد بعلي كقوله تعالى : { لتستووا على ظهوره } [الزخرف : 13] وقوله تعالى : { واستوت على الجودي } [هود : 44] وقوله تعالى : { فاستوي على سوقه } [الفتح : 29] وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

والثالث : المقرون بواو المعية التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو استوي الماء والخشبة بمعني ساواها .

هذه هي معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معني استولي البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم ، وإنما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة ومن جاء بعدهم من النفاة سلك هذا الطريق متأثرا بهم .

[2 – أن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار ، ولم يجعلوه من لغة العرب ، قال ابن الأعرابي وقد سئل : هل يصح أن يكون استوي بمعني استولي ؟ فقال : لا تعرف العرب ذلك .

[3 – أن الذين قالوا :

إن استوي معناها استولي لم يقولوه نقلا فإنه مجاهرة بالكذب وإنما قالوه استنباطا وحملا منهم للفظة استوي على استولي مستدلين بقول الأخطل النصراني :

قد استوي بشر على العراق : من غير سيف أو دم مهراق

وهذا البيت ليس من شعر العرب (1) .

[4 – ما قاله الخطابي في كتابه شعار الدين : وزعم بعضهم أن الاستواء هنا بمعني الاستيلاء ، ونزع فيه إلى بيت مجهول لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج

بقوله ولو كان الاستواء ها هنا بمعني الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة ، لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شئ، وكل بقعة من السماوات والأرضين وتحت العرش فما معني تخصيصه العرش بالذكر؟!

ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشئ فإذا وقع الظفر به

1 قال ابن كثير : (هذا البيت تستدل به الجهمية على أن الاستواء بمعني الاستيلاء ، وهذا من تحريف الكلم عن مواضعه وليس في بيت هذا النصراني حجة ولا دليل على ذلك ، ولا أراد الله عز وجل باستوائه على عرشه استيلاءه عليه ، ولا نجد أضعف من حجج الجهمية حتى أداهم الإفلاس من الحجج إلى بيت هذا النصراني المقبوح ، تعالى الله عما تقول الجهمية علوا كبيرا) .

والعجب كل العجب من تمسك الجهمية بهذا البيت وتركهم لكلام الله مع أن الأخطل النصراني المشرك هو القائل في شعره يهزأ بالمسلمين وشعائر دينهم :

ولست بصائم رمضان يوما : ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بزائر بيتا بعيدا : بمكة ابتغي فيه صلاحى
ولست بقائم كالعير أدعو : قبيل الصبح حي على الفلاح

انظر البداية والنهاية ح 9 ص 295 وما بعدها بتصرف .

قيل : استولي عليه ، فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده ؟! وهذا لفظ الخطابي وهو من أئمة اللغة .

[5 – أن هذا تفسير لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع ولا قاله إمام من أئمة المسلمين ، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون أقوال السلف وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم :

(من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (1) .

[6 – أن القائل بأن معني استوي استولي شاهد على الله أنه أراد بكلامه

هذا المعني وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها بل هي قول على الله بلا علم فلو كان اللفظ محتملا لها في اللغة وهيهات لم يجز أن يشهد على الله أنه أراد هذا المعني ، بخلاف من أخبر عن الله تعالى أنه أراد الحقيقة والظاهر فإنه شاهد بما أجري الله سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها كما قال تعالى :

{ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه } [إبراهيم : **4**] .

1 حديث ضعيف رواه أحمد ح **1** ص **296** وضعفه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند ، ورواه الترمذي في كتاب التفسير ، باب الذي يفسر القرآن برأيه برقم (**2953**) وقال : هذا حديث غريب ، ورواه أبو داود بلفظ مقارب في كتاب العلم باب الكلام في كتاب الله بغير علم برقم (**3652**) وضعفه الشيخ الألباني في تعليقه على الطحاوية ، انظر ص **194** .

فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوما كان هو المراد لكون الخطاب بلسانهم وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم ، فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه كان بمترلة خطاب العربي بالعجمية .

[7 – أن الإجماع منعقد على أن الله سبحانه وتعالى استوي على عرشه حقيقة لامجازا ذكر أبوعمر الطلمنكي أحد أئمة المالكية في كتابه الذي سماه الوصول إلى معرفة الأصول من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم وأقوال مالك والأئمة ما إذا وقف عليه الواقف علم حقيقة مذهب السلف ، وقال في هذا الكتاب : (أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز) .

[8 – أنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معني هذه الآية كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره

وحكمه أفلا يستحي من في قلبه أدني وقار لله ولكلامه أن ينسب ذلك إليه ! وأنه أراد بقوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

أي اعلموا ياعبادي أني بعد فراغي من خلق السموات والأرض غلبت عرشي وقهرته واستوليت عليه !

[9 – أن الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران ومعنيان مختلفان فحمل أحدهما على الآخر إن ادعي أنه بطريقة الوضع فكذب ظاهر فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة .

وإن كان بطريقة الاستعمال في لغتهم فكذب أيضا فهذ نظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه ، فتتبع لفظ استوي ومواردها في القرآن والسنة وكلام العرب هل تجدها في موضع واحد بمعني الاستيلاء ؟! (1)

وهناك وجوه أخري للرد على من فسر الاستواء بالاستيلاء تبين ما في هذا التفسير من زيع وفساد ، ولولا أن يطول الأمر لعرضناها كلها فكيف يقول الشيخ العفيفي عن تفسير الخلف الاستواء بالاستيلاء : إنهم حملوها على معان معقولة ومقبولة ؟!

*** شبهات الخلف في نفي علو الذات والرد عليها :**

قال الشيخ العفيفي : **(ومن الآيات المتشابهة أيضا قوله تعالى :** { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] **قد تعلقت المشبهة (2)**

1 انظر تفصيل هذه الوجوه في مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية ح 1 ص 37 وما بعدها .

2– الشيخ العفيفي شأنه شأن الخلف يصف السلف الصالح بأنهم مشبهة ظنا

منه أن مذهب السلف ليس فيه إثبات الصفات وأنهم فوضوا النصوص فلايعلمون عن كلام الله شيئا ، وهذا دليل واضح على عدم استيعابه لحقيقة مذهب السلف ، وكل ما ذكره متحاملا به على من أثبتوا الصفات إنما يتوجه إلى السلف فجمع بين الجهل بطريقة السلف والجهل بتصويب طريقة الخلف ، انظر في بيان ذلك مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ح 5 ص 9 .

أيضا بهذه الآية في أن معبودهم جالس على العرش وهذا باطل بالعقل والنقل من وجوه :

أولها : أنه سبحانه وتعالى كان ولاعرش ولامكان ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه .

ثانيها : أن الجالس على العرش لا بد أن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش ، فيكون في نفسه مؤلفا مركبا وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف والمركب وذلك محال .

ثالثها : أن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الإنتقال والحركة أو لايمكنه ذلك ، فإن كان الأول فقد صار محلا للحركة والسكون فيكون محدثا لامحالة ، وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كان كالزمن [المشلول] بل أسوأ حالا منه فإن الزمن إذا شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم .

رابعها : أن قوله تعالى : { ليس كمثله شئ } [الشوري : **11] يتناول نفي المساواة من جميع الوجوه ، فلو كان جالسا لوجد من يماثله في الجلوس ، فحينئذ يبطل معني الآية .**

خامسها : قوله تعالى : { ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } [**الحاقة : 17] فإذا كانوا حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم ، فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم وذلك غير معقول لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوق أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا يحمله .**

سادسها : أن العالم كرة فالجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي تحت

بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس فلوكان المعبود مختصا بجهة ، فتلك الجهة وإن كانت فوقا لبعض الناس ولكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال المعبود تحت جميع الأشياء .

سابعها : أن الأمة أجمعت على أن قوله تعالى : { قل هو الله أحد } [الإخلاص : **1**] **من المحكمات لامن المتشابهات فلو كان مختصا بالمكان لكان الجانب الذي في يمينه يلي ما على يساره فيكون مركبا منقسما فلا يكون أحدا في الحقيقة فيبطل قوله :**

{ قل هو الله أحد } [الإخلاص : **1**] (**1**)

1- انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص **101 102** وقد نقل الشخ العفيفي هذا الكلام عن الفخر الرازي في كتابه أساس التقديس ص **199 203** وقد رجع الرازي عن هذه الشبهات وأقر بالاستواء على طريقة السلف الصالح فلعل الشيخ العفيفي يفعل كما فعل سلفه .

أولا : الرد على تلك الشبهات إجمالا :

[1] - هذه التعليلات التي ذكرها تدل بما لايدع مجالا للشك على أن مبدأه هو تشبيه الخالق بالمخلوق ، وهذا في الأصل مبدأ باطل فإن المقاييس التي يخضع لها المخلوق لا يقاس بها الخالق سبحانه لقوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : **11**] .

ولأن الخلف وقعوا في هذا المحذور وشبهوا الخالق بالمخلوق فقد بنوا على ذلك ما هو أشد منه بطلانا وهو تأويل الآية بغير ما تحتمل ونفي ما دلت عليه ظنا منهم أنهم بذلك لن يقعوا في التشبيه .

فجمعوا بين محذورين :

1- أنهم شبهوا الخالق بالمخلوق وهذا باطل لقوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] .

2- أنهم حرفوا كلام الله بنفي دلالته الحقيقية وهذا أشد بطلانا لأن الآية السابقة مع نفيها للمثلية بكل وجه أثبتت صفتي السمع والبصر فقال تعالى :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11]

فالقضية المتعلقة بتوحيد الصفات عموما وبمسألة الاستواء على وجه الخصوص قضية فيصلية من حيث المبدأ .

والإيمان يحتم علينا أن نؤمن بصفات الله عز وجل وبمادلت عليه مع اعتقادنا أنها ليست كصفات المخلوقين على الإطلاق ولذلك فإن توحيد

الصفات قائم على ركنين كائنين في العلم بهذه الآية : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] وهي مكونة من جزأين :

الأول : نفي المثيل في قوله تعالى : { ليس كمثله شئ } وفي ذلك رد على من أخضع ذات الله وصفاته للمقاييس البشرية .

الثاني : اثبات الصفات في قوله تعالى : { وهو السميع البصير } وفي ذلك رد على من نفي صفات الله بزعم أنها تشبه صفات المخلوق ، فالجزء الأول من الآية رد على المشبه ، والجزء الثاني رد على المعطلة الذين زوروا كلام الله وحرفوه عن مواضعه كما فعل الخلف .

وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن كثيرا من الناس يتوهم في بعض الصفات أوكثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير :

1- كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

2- أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت

عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله ، فيبقي مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل ، يبقي وقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

3- أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب سبحانه وتعالى .

4- أن يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات ، فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمعدومات والمنقوصات ، وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته .

مثال ذلك : ظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام كقوله تعالى :

{ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره } [الزخرف : 12] فيتخيل أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجا إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت الدابة لخر من فوقها ، ومقياس هذا لو انعدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى ، ثم يريد بزعمه أن ينفي هذا فيقول :

ليس له استواء بل استيلاء فيخطئ في مفهوم استوائه على العرش حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك وليس في اللفظ ما يدل على ذلك ، لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته .

فذكر أنه خلق ثم استوي كما ذكر أنه قدر فهدي وأنه بني السماء بأيد وكما ذكر أنه مع موسي وهارون يسمع ويري وأمثال ذلك .

فلم يذكر استواء مطلقا يصح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته ، وإنما ذكر استواء أضافه إلى نفسه الكريمة فلو قدر على وجه الفرض الممتنع أنه هو مثل خلقه تعالى الله عن ذلك لكان استواؤه مثل استواء خلقه ، أما إذا كان هو ليس مماثلا لخلقه بل قد علم أنه الغني عن المخلوق وأنه الخالق للعرش ولغيره وأن ما سواه مفتقر إليه وهو الغني عن كل ما سواه ، فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستويا على العرش كان محتاجا إليه ، وأنه لو سقط العرش لخر من عليه ؟!

سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله أو جوز ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق ؟!

بل لو قدر أن جاهلا فهم مثل هذا وتوهمه لبين له أن هذا لا يجوز وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلا كما دل على نظائره في سائر ما وصف به الرب نفسه فلما قال تعالى :

{ والسماء بنيناها بأيد } [الذاريات : 47] .

فهل يتوهم أن بناءه مثل بناء الآدمي المحتاج الذي يحتاج إلى ذنبيل ومجارف وضرب لبن وأعوان ؟

ثم قد علم أن الله خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا إلى سالفه ، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقرا إلى حمل الأرض ، والسحاب فوق الأرض وليس مفتقرا إلى أن تحمله والسماوات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها .

فالعلي الأعلي رب كل شئ ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجا إلى خلقه أو عرشه ؟

أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات ؟ وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغني عن غيره ، فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولي من المخلوق وكذلك قوله :

{ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور } [الملك : 16] فمن توهم أن مقتضي هذه الآية أن يكون الله داخل السماوات فهو جاهل ضال بالاتفاق .

فلو قال قائل : العرش في السماء أوفي الأرض ؟

لقيل : في السماء .

ولو قيل : الجنة في السماء أم في الأرض ؟

لقيل : في السماء .

ولا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السماوات ، بل ولا الجنة فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال :

(إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلي الجنة وأوسط الجنة وسقفه عرش الرحمن) (1) .

فهذه الجنة سقفها الذي هو العرش فوق الأفلاك مع أن كون الجنة في السماء يراد به العلو سواء كان فوق الفلاك أو تحتها .

قال تعالى : { فليمدد بسبب إلى السماء } [الحج : 15] .

وقال تعالى : { وأنزلنا من السماء ماء طهورا } [الفرقان : 48] .

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلي وأنه فوق كل شئ كان المفهوم من قوله :

{ في السماء } : أنه في العلو وأنه فوق كل شئ .

وكذلك الجارية لما قال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها وإذا قيل : العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها ، فما فوقها كلها هو في السماء ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم موجود إلا الله .

كما لو قيل : العرش في السماء .

فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شئ أخر موجود مخلوق وإن قدر أن

1- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء برقم (**7423**) وأخرجه الترمذي في كتاب الجنة برقم (**2530**) وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة برقم (**4331**) وأحمد ح **2** ص **335** .

السماء المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها .

كما قال : { ولأصلبنكم في جذوع النخل } [طه : **71**] .

وكما قال : { فسيروا في الأرض } [النحل : **36**] .

وكما قال تعالى : { فسيحوا في الأرض } [التوبة : **2**] .

ويقال : فلان في الجبل وفي السطح وإن كان على أعلي شئ فيه (**1**) .

[2] – الوجه الثاني :

قلت : تلك الشبهات السبع التي أوردها الخلف حول قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : **5**] .

وزعموا أن المعني الذي دلت عليه معني باطل وأن لها معني آخر يعلمونه هم وهو تفسير الاستواء بالاستيلاء والذي تقدم بطلانه

وقد وصفوا المتمسكين بقول الله ورسوله مشبهة لأنهم تمسكوا بالآية الكريمة

وبما دلت عليه كما أراد الله ذلك ، هذه الأمور أو الحجج الدامغة التي حرفوا بها الآية هل علمها رسول الله أم لم يعلمها ؟!

فهل علم رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه سبحانه وتعالى كان ولاعرش ولامكان ولما خلق الخلق لم يحتج إلى المكان بل كان غنيا عنه ؟

وأن الجالس على العرش لا بد أن يكون الجزء الحاصل منه في

1- انظر الرسالة التدمرية ص 26 : 28 بتصرف .

يمين العرش غير الحاصل في يساره لأن ذلك من صفات المخلوقات كما زعموا ؟

وأن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة أو يكون مربوطا ؟ وأنه يلزم من الاستواء أن يكون محمولا تحمله الملائكة ؟

وأن العالم كروي فالجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي التي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض ؟ إلى آخر ما نقله الشيخ العفيفي في إثبات مذهب الخلف بهذه الحجج .

نقول له : هل علم رسول الله ذلك أو لم يعلمه ؟!

* فإذا قال : **علم ذلك فقد وقع في الباطل من وجوه :**

1- أن النبي صلي الله عليه وسلم يقيس الخالق بما يقاس به المخلوق وفي ذلك تناقض مع قوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] .

إضافة إلى أن ذلك كذب وافتراء لأن النبي صلي الله عليه وسلم هو أفضل من عبد الله ونزهه بحقيقة التوحيد .

2 – يلزمك أنه صلي الله عليه وسلم كتم علما ضروريا لفهم أمور التوحيد وسلامة الاعتقاد ، فإنه لم يثبت عنه أنه بلغها ولاوردت في السنة الصحيحة ويلزم من ذلك وصفك له بعدم الأمانة في تبليغ الرسالة وهذا باطل لأن الله أخبرنا أنه

صلي الله عليه وسلم لاينطق عن الهوي قال تعالى :

{ وما ينطق عن الهوي إن هو إلا وحي يوحي } [النجم : 3 ، 4] وقد كان كل رسول يقول لقومه :

{ إني لكم رسول أمين } [الشعراء : 107] ومحمد صلي الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والأمناء .

3- يلزمك أن الله أمر نبيه صلي الله عليه وسلم بأن يلبس على الناس دينهم فيقول له : بلغ الناس قولي : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] الذي لا يفهم منه أبدا في لغة العرب معني الاستيلاء والغلبة والقهر كما تقدم ، ورسوله صلي الله عليه وسلم يعلم أن في ذلك نقصا وتشبيها له سبحانه بالمخلوقات وبالرغم من ذلك يبلغه للناس .

4- يلزمك أن القرآن ماجاء لهداية الناس ودعوتهم إلى الصراط المستقيم وإنما جاء للتشبيه والإغواء والإضلال وذلك ينافي قول الله تعالى :

{ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم } [الإسراء : 9] .

وقوله تعالى : { قد جائكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم } [المائدة : 15] وذلك محض افتراء على الله قال تعالى : { إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات

الله وأولئك هم الكاذبون } [النحل : 105] .

بل أخبرنا جل ذكره أن القرآن نزل ليثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدي ونورا كما قال تعالى :

{ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدي وبشري للمسلمين } [النحل : 102] .

وهناك لوازم يستنبطها اللبيب يعف القلم عن كتابتها وذكرها لشدة قبحها ومرارتها تدل على أن مذهبهم هو قول على الله بلا علم وقد قال تعالى : { ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا } [الإسراء : **36**] .

وقال تعالى : { قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون } [الأعراف : **33**] .

* وإن قال : **لم يعلمها الرسول صلي الله عليه وسلم :**

قلنا : أمر لم يعلمه الرسول صلي الله عليه وسلم وهو مرسل من ربه أتعلمه أنت ؟!

عند ذلك يلزمه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين لم تتطرق أذهانهم إلى ما ذهب إليه الخلف لأنهم لم يشبهوا الخالق بالمخلوق .

فأثبتوا استواء الله كما يليق بجلاله وكان الرد على من سأل عن الكيفية

التي عليها استواء الخالق ، هو الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلي الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق .

وهذا جواب ربيعة بن أبي عبد الرحمن رحمه الله وهو شيخ الإمام مالك وعلي هذا كان اعتقاد السلف الصالح ، فآمنوا بقوله تعالى : { ليس كمثله شئ } [الشوري : **11**] .

وأثبتوا السمع والبصر والاستواء والنزول والأصابع والقدم وكل ما صح عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أو ما ورد في كتاب الله بلا علم بكيفية الصفة .

وهذا ما ندعوا المسلمين أن يؤمنوا به وأن يسعهم ما وسع النبي صلي الله عليه وسلم وأصحابه ، فإن هذا هو الصراط المستقيم وهو حبل الله المتين .

ثانيا : الرد على الشبهات التي أوردها الخلف تفصيلا .

*** الرد على الشبهة الأولي :**

(أنه سبحانه كان ولا عرش ولا مكان ولما خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه) .

قلت : الرد على ذلك من وجوه :

[1 – ألستم تقرون بأن الله تعالى موجود قبل خلق الكون ، وأنه سبحانه وتعالى واجب الوجود ولا يجوز عليه العدم ، فهو كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم في شأنه :

(كان الله ولم يكن شئ قبله) (1)

ونحن وأنتم وكل العقلاء لا نعقل وجود أحد منا إلا في مكان وما ليس في مكان فهو عدم والله سبحانه وتعالى ليس بعدم فيلزمكم واحد من أمرين :

1– إما ان تقولوا إن الله عدم وهذا كفر .

2– إما ان تقولوا إن الله له مكان لا يخضع لمقاييس البشر وهذا هو الحق الذي دل عليه الدليل .

فالمكان الذي ينسب إلى الله لا يخضع لمقاييسنا وليس كمثله شئ فيه وهو ما أطلق عليه السلف الصالح المكان العدمي ، أي الذي تنعدم فيه مقاييس البشر بخلاف ما اعتقدوه من التمثيل بالمكان الذي تحكمنا قواعده فلا يجوز ابتداء أن يقاس الخالق بما يقاس به المخلوق كما هو مذهبكم .

[2 – قولهم : كان الله ولا مكان هذا قول فاسد (2) فإنه على زعمهم

1– رواه البخاري في كتاب التو حيد ، باب { قل أي شئ أكبر شهادة قل الله

} برقم (**7418**) وفي كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء في قوله تعالى { وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده } بلفظ : ولم يكن شئ غيره برقم (**3191**) ورواه أحمد ح **4** ص **431** والبيهقي في الأسماء والصفات ص **6** ، ص **270** .

2- انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ص **472** ، وانظر في بيان المراد بالمكان في قياس المخلوق ص **87** .

أنه كان لا في مكان ثم صار في كل مكان ، أو أنه صار لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه ، وهذا لا يفهم منه إلا العدم المحض وإنكار وجود الله سبحانه وتعالى .

[**3** – أنه قد ثبت بالعقل السليم ما يأتي :

أولا : أن كل موجودين إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر ، فالمخلوقات هي فعل الرب وهي ليست صفاته بل من آثار الصفات فيبطل الأول ويلزم الثاني .

ثانيا : أن الله لما خلق الخلق فإما أن يكون خلقه في ذاته أوخلقه خارجا عن ذاته ، فإذا قلنا خلقه في ذاته يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فلزم الثاني وهو أن الله خلقه خارجا عن ذاته وتعينت المباينة .

ثالثا : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول ، فيلزم أن يكون إما داخل العالم أوخارجه ، والأول باطل لأن الله لا يحيط به شئ ، فلزم الثاني وتعينت المباينة وثبت أن الله على عرشه كما أخبر (**1**) .

[**4** – قول من قال : إن الله تبارك وتعالى كان ولا عرش ولا مكان ولما

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 265 بتصرف .

خلق الخلق لم يحتج إلى مكان بل كان غنيا عنه .

نقول : صحيح أنه كان الله ولم يكن شئ قبله ولكن لما خلق الخلق أخبرنا سبحانه وتعالى أنه في العلو بالنسبة لخلقه فجعل السماوات فوق الأرض وجعل الماء ومن فوقه العرش فوق السماوات .

فقال تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

وقال تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير } [الملك : 16 ، 17] .

وقال تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } [فاطر : 10] .

وقال تعالى : { تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة } [المعارج : 4] .

ولما سأل الرسول صلي الله عليه وسلم الجارية : أين الله ؟ قالت : في السماء ، شهد لها النبي صلي الله عليه وسلم بالإيمان وأمر بعتقها (1) .

فهو سبحانه وتعالى في العلو لم يزل منزها عن أن يحيط به مكان وإنما قياسكم الفاسد للخالق على المخلوق ، هو الذي أوجب له في رؤوسكم المكان فلذا نفيتم الاستواء والعلو .

1- حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص 91 .

[5 – يقال لهم : أخبرونا عن قوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] ماهو المراد منه ؟ ولماذا ذكر

في كتاب الله إذ لم يكن الله على العرش كما أراد ؟

فإنه يلزمهم واحد من أربعة :

(أ) إما أن ينفوا هذه الآية ويردوها جحودا منهم وهذا كفر .

(ب) وإما أن يقولوا : هذا مما لانفهم معناه وذلك في مترلة قولهم كيف يخاطبنا الله بالأعجمية ونحن عرب ؟! وفي هذا وصف لله بالنقص حيث يخاطب عباده بما لايفهمون وهو قادر على أن يخاطبهم بما يفهمون .

(ج) وإما أن يؤولوا معناها بأنه تعالى استولي على العرش وهذا باطل لأنه تعالى لم يزل مستول على العرش وعلي السموات وعلي الأرض وعلي كل شئ ، وقد تقدم بطلان قول من فسر الاستواء بالاستيلاء .

(د) لم يبق إلا الوجه الرابع وهو أن الله مستو على عرشه كما أراد فوق سبع سماوات ، وهذا هو الحق الذي ندعوكم إليه .

*** الرد على الشبهة الثانية :**

قولهم : (**إن الجالس على العرش لا بد أن يكون الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون فى نفسه مؤلفا مركبا وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف المركب وذلك محال**) .

يجاب عنه بالوجوه الآتية :

الوجه الأول :

أن لفظ الجلوس من الألفاظ المبتدعة التي لا يجوز إطلاقها في حق الله تبارك تعالى لأنه لا يطلقه على الله إلا من يعتقد أن الله يشبه المخلوق ونحن لسنا أفضل من رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا أصحابه رضوان الله عليهم ، حيث يعتقدون أن الله مستو على عرشه دون أن يحتاج إليه بل يحمله هو وحملته بقدرته تعالى .

ومن ثم فلا نترك هذا الاعتقاد خشية أن يقال : هذا تشبيه إنما التشبيه هو ما ذهبوا إليه ومن أجل ذلك عطلوا الله عن صفاته .

الوجه الثاني :

لقد حاول الشيخ العفيفي أن يقبح الاستواء الحقيقي في قول الله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] في نفس السامع بأن يجعل الاستواء في حق الخالق يعني الجلوس .

ولم يفهم من الآية إلا معني مستهجن يدل على تمثيل الخالق بالمخلوق ووصف السلف الصالح بالمجسمة أو المشبهة ولذلك نفي الاستواء .

وكذلك في قوله تعالى : { ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } [الحاقة : 17] .

لم يفهم منه أيضا إلا أنّ حمل الملائكة لعرش الله يلزم منه أنهم يحملون الله وهو مفتقر إليهم .

قلت : الشيخ العفيفي قد طبق قانون الجاذبية الأرضية على الله تعالى في استوائه وعلوه على عرشه فلينظر اللبيب :

هل يصلح قانون الجاذبية الأرضية أن يطبق على الخالق سبحانه وتعالى أو على حملة العرش ؟!

الجواب : أنه لا يصلح أن يقاس الخالق بالمخلوق في هذا القانون وذلك لوجوه منها :

1] – أن الجالس أو المحمول تجذبه الأرض إليها بقوة منتظمة خلقها الله في ذات الأرض ، وتسمي حديثا بعجلة الجاذبية الأرضية وقد وجد بالتجربة أن عجلة الجاذبية الأرضية تساوي بالقيمة التقريبية [9.8 متر / ث2] ومعني هذا أن الجسم يسقط في كل ثانية مربعة مسافة تسعة أمتار وثمانية أعشار المتر ، وتزداد

هذه القيمة كلما اتجهنا نحو أحد القطبين لتصبح هناك [**9.83** تقريبا] بينما تقل القيمة كلما اتجهنا نحو خط الاستواء لتصبح هناك [**9.87** تقريبا] .

أقول : تلك القوة التي خلقها الله في الأرض هي العلة في عملية الجلوس والاستقرار ، وهي العلة في ثقل الأشياء عند رفعها فالجسم المحمول على الكرسي تجذبه الأرض بفعل قوتها بالعجلة المذكروة والكرسي أو المقعد أو الحامل ، له ورد فعل يساوي في المقدار قيمة القوة الجاذبة

المتجهة نحو الأرض ومضاد له في الاتجاه ، وذلك حتى يبدوا الجسم مستقرا ويسمي المحمول محمولا والجالس جالسا .

فقد ثبت من النواميس والقوانين التي وضعها الله في مخلوقاته على الأرض : **(أن لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له في الاتجاه)** كما هو مقرر في علوم الحركة الميكانيكية .

وعلي ذلك لو فرضنا أن الله الذي خلق قوة الجذب في الأرض أعدمها فانعدمت عجلة الجاذبية الأرضية ، فهل يكون الجالس جالسا والمحمول محمولا ؟!

أم أن الجالس سيكون عال على كرسيه والمحمول لا يفتقر إلى من يحمله ؟ حينئذ لا يلزم أن يكون المستوي على الشئ محمولا عليه بل سيكون عال عليه غير مفتقر إليه .

وماذا لو قلنا للشيخ العفيفي ومن على طريقته : إن هذا الفرض أعني انعدام الجاذبية الأرضية قد حدث بخروج الإنسان عن نطاق الجاذبية الأرضية في السفن الفضائية أو المحطات الفضائية والناس يشاهدون ويسمعون أخبار رواد الفضاء يوما بعد يوم في وسائل الأعلام ، فرائد الفضاء يكون عال على مقعده ولا يكون محمولا عليه بل هو الحامل له .

وهذا أيضا واقع يتم فيما يسمي بغرفة انعدام الوزن حيث يصل وزن

الإنسان إلى الصفر ولا تأثير لقوة جذب الأرض عليه .

فإن جاز في حق الإنسان المخلوق أن يكون عال الشئ ولا يكون محمولا والمستوي على المقعد لا يفتقر إليه ، وقد جعل الخلف ذلك مستحيلا قبل قليل ، فإن الله إذا أخبرنا بأنه استوي على العرش وجب علينا أن نؤمن بذلك دون طلب الكيفية ، لأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ ، وهذا هو اعتقاد أهل السنة والجماعة .

فالقوانين التي يقيس بها الخلف الخالق على المخلوق جاز خرقها في حق المخلوق ، فالخالق تبارك وتعالى أعظم مباينة للمخلوق من مباينة المخلوق للمخلوق .

2] – مثل النار : قلت قد صح الخبر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الزمن الذي يستغرقه الجسم الساقط في جهنم من أعلاها إلى قعرها سبعون عاما .

فقد روي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (**1**) :

(كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال النبي صلي الله عليه وسلم : تدرون ما هذا ؟ قلنا : الله ورسوله

1– أخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب جهنم أعاذنا الله منها برقم (**2184**) وفي كتاب الزهد من حديث عتبة بن غزوان بلفظ : (فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقي من شفه جهنم فيهوي فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا والله لتملأن) وأخرجه أحمد بمعناه ح **4** ص **174** .

أعلم ، قال : هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوي في النار إلى الآن حتى انتهي إلى قعرها) .

إذ تقرر ذلك وعلمنا أن المقياس الوحيد عند الخلف للأمور الغيبية هو قوانين الجاذبية الأرضية وقياسها بما يقاس به المخلوق وعليها ينفي ما يشاء و يثبت من الصفات ، إذا علمنا ذلك فإنه يلزم من ذلك أن عمق

النار الذي لا يعلمه إلا الله معلوم معروف عند الخلف ومقداره :

(2.3878408×10^{16} كيلو متر) وذلك يتم بعملية حسابية بسيطة فالمسافة التي يقطعها الحجر الساقط تساوي نصف مربع الزمن مضروبا في عجلة الجاذبية الأرضية فعلي قياس الخلف الباطل فإن عمق جهنم = $[,5 \times 9.8 \times (70 \times 365 \times 24 \times 60 \times 60)^{2}]$.

= 2.378408×10^{19} مترا

= 2.3878408×10^{16} كيلو متر .

ومعلوم أن هذا لا يخطر على بال أحد من الناس لأن النار لها كيفية معينة وحساب معين يختلف عن مقاييس الدنيا ، وما يقال في امتناع تطبيق قانون الجاذبية على الاستواء يقال أيضا في النزول .

[3 – مثل الجنة :

كذلك الحال بالنسبة للجنة وما فيها من نعيم ، فقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية مثلا لبطلان قياس الخالق بما يقاس به المخلوق وإثبات الصفات بقياس الأولي حيث أخبر الله سبحانه وتعالى عما في الجنة من المخلوقات من

المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، فأخبر أن فيها لبنا وعسلا وخمرا ولحما وماءا وحريرا وذهبا وفضة وفاكهة وحورا وقصورا .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (ليس في الدنيا شئ مما في الجنة إلا الأسماء) (1)

وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(يقول الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (2)

وإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقة في الأسماء للحقائق التي في الدنيا وليست مماثلة لها ، بل بينهما من التباين ما لايعلمه إلا الله تعالى ، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة

1- انظر الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص 15 بتصرف .

2- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : { يريدون أن يبدلوا كلام الله } برقم (7498) وفي كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة برقم (3244) وفي كتاب التفسير ، سورة السجد باب { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين } برقم (4779) وأخرجه مسلم في كتاب الجنة ووصف نعيم أهلها ، برقم (2174) وأخرجه الترمذي في كتاب التفسير تفسير سورة السجدة ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب صفة الجنة برقم (1447) وأخرجه أحمد ح 2 ص 313 ، 416 .

المخلوق للمخلوق ، ومباينته لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا ، إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق وهذا بين واضح (1) .

وبهذا الرد أيضا يمكن أن يبطل الوجه الخامس من حجج الخلف وشبهاتهم لتأويل الاستواء بالاستيلاء ، لأنهم لا يفهمون من النصوص إلا التشبيه ، حيث قالوا في قوله تعالى :

{ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } [الحاقة : 17]

فإذا كان الملائكة حاملين للعرش والعرش مكان معبودهم فيلزم أن تكون الملائكة حاملين لخالقهم ومعبودهم ، وذلك غير معقول لأن الخالق هو الذي يحفظ المخلوقات أما المخلوق فلا يحفظ الخالق ولا

يحمله .

الوجه الثالث :

قول الخلف : **(الجزء الحاصل منه في يمين العرش غير الحاصل في يسار العرش فيكون في نفسه مؤلفا مركبا ، وكل ما كان كذلك احتاج إلى المؤلف المركب وذلك محال) .**

قلت : من خلال هذه الشبهة التي أوردها يكون ردها ، وذلك أنهم قالوا : صفة الحادث المخلوق أنه مؤلف مركب ومعلوم أن الله خالق

1- انظر الرسالة التدمرية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص 16 بتصرف .

كل شئ ليس بمؤلف ولا مركب ، بل هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

قال تعالى : { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } [سورة الإخلاص] .

وقال تعالى : { هل تعلم له سميا } [مريم : 65]

وقال تعالى : { ليس كمثله شئ وهو السميع البصير }

[الشوري : 11] .

فإذا كان الله ليس مؤلفا ولا مركبا فقد أخبرنا أنه خالق السماوات والأرض وأنه ليس كمثله شئ ولم يكن له كفوا أحد وأخبرنا بأنه سبحانه على العرش استوي ، ومن ثم يلزم من ذلك أن استواءه ليس كاستواء المخلوق ، لأنه ليس مؤلفا ولا مركبا والمخلوق مؤلف مركب ، فهذه معادلة يدركها جميع العقلاء .

ذات المخلوق مؤلفة مركبة = استواء المخلوق مؤلف ومركب
ذات الله غير مؤلفة ولا مركبة = استواء الله غير مؤلف ولا مركب

فالخالق له استواء يليق بجلاله وكماله والمخلوق له استواء يليق بصفاته

ووضعه .

*** الرد على الشبهة الثالثة :**

قال الخلف : **(إن الجالس على العرش إما أن يكون متمكنا من الانتقال والحركة أو لايمكنه ذلك ، فإن كان الأول فقد صار محل الحركة والسكون فيكون محدثا لا محالة ، وإن كان الثاني كان كالمربوط بل كالزمن بل أسوأ حالا منه فإن الزمن إذ شاء الحركة في رأسه وحدقته أمكنه ذلك وهو غير ممكن على معبودهم) .**

قلت : الرد على ذلك من وجوه :

1 – تقدم أن لفظ الجلوس على العرش من الألفاظ المبتدعة وهو باطل بأوجه كثيرة لما سبق .

2 – وكذلك لفظ الحركة من الألفاظ المبتدعة فإنه لفظ مجمل لم يرد في الشرع ويحتاج إلى بيان وتفصيل :

(أ) فإذا كان المقصود هو انتقال الجسم من مكان إلى مكان آخر بحيث يكون قد فرغ من الحيز الأول وشغل الحيز الثاني ، فإذا كانت الحركة هكذا من جنس حركة المخلوق ، فالله ليس كذلك وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء وليس كمثله شئ .

(ب) وإن كان المقصود من نفي الحركة عن الله نفي النزول والاستواء والمجئ لفصل القضاء فقد كذّبوا كلام الله في كتابه حيث يقول : { هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر } [البقرة : **210**] .

ويقول تعالى أيضا :

{ وجاء ربك والملك صفا صفا } [الفجر : **22**] .

وأنتم تريدون نفي ذلك تحت ستار إجمإلى يسمي بنفي الحركة عن الله (**1**) .

3 – وأما قولهم : إذا كان غير متمكن من الحركة فإنه سوف يكون كالمربوط بل أسوأ حالا وذلك طلبا لنفي الاستواء أو تأويله فهذا باطل ، تعالى الله عما يقول الجاحدون لصفاته علوا كبيرا وبئس الاعتقاد أن يشبّه إنسان خالقه بمربوط ويكون هذا هو فهمه لقوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

ومن أجل بشاعة هذا الاعتقاد وقبحه يحاول أن يلوي عنق النص بما لا يحتمله ويحرفه عن موضعه ، فيفسر الاستواء بالاستيلاء هربا من اعتقاده الفاسد ، ولو أنه قال استوي كما يليق بجلاله بلا كيف لأراح واستراح فإنه سبحانه ليس كمثله شئ فأصل الضلال هو تشبيه الخالق بالمخلوق .

4 – ويقال للشيخ العفيفي : بفرض أننا أوّلنا الاستواء بالاستيلاء مثلا هل نكون قد وصلنا إلى مراد الله عز وجل من هذه الآيات ؟ وإذا كنت تعتقد ذلك فما الدليل الحق على أن الله تبارك وتعالى قد أراد ذلك المعني ؟

*** الشبهة الرابعة التي أوردها الخلف :**

(أن قول الله تعالى : { ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] يتناول نفي المساواه من جميع الوجوه ، فلو كان جالسا لوجد من

1– انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية ح 5 ص 576 : 577 بتصرف .

يماثله في الجلوس ، فحيئذ يبطل معني الآية) .

قلت : الرد على ذلك من وجوه :

1] – أنهم جاءوا بنصف الآية ليستدلوا بها وحذفوا النصف الثاني منها فقوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري :11] .

يرد على طائفتين من أهل الضلال كما سبق :

أ – المشبهة الذين يقولون له سمع كسمعنا وبصر كبصرنا ويد كأيدينا فيرد

عليهم بقوله تعالى : { ليس كمثله شئ } .

ب – النفاة أهل التأويل والتعطيل الذين يحتجون بقوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } فقط دون بقية الآية كما فعل الشيخ العفيفي لإباحة التأويل بلا دليل وصرف المعني الحقيقي إلى معني خيالى، يرد عليهم ببقية الآية وهي قوله تعالى : { هو السميع البصير } .

فقوله تعالى : { ليس كمثله شئ } ينفي المساواة في كيفية الذات من جميع الوجوه .

وقوله : { هو السميع البصير } أثبت الاتفاق في بعض الأسماء المجردة عن الإضافة ، فالله له سمع والمخلوق له سمع ولكن سمع الله لا كسمع المخلوق ، والله له بصر والمخلوق له بصر ولكن عين الله لا كعين المخلوق

2] – قال نعيم بن حماد :

من شبه الله بشئ من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس في ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها .

وقال اسحاق بن راهويه : من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم ، وقال : علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة ما أولعوا به من الكذب أنهم مشبهة ، ثم قال : بل هم المعطلة .

ويذكر ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية فىتعقيبه على ذلك أن خلقا كثيرا من أئمة السلف قالوا :

علامة الجهمية تسميهم أهل السنة مشبهة فإنه ما من أحد من نفاة شئ من الأسماء والصفات إلا يسمي المثبت لها مشبها فمن أنكر أسماء الله بالكلية فهو من غالية الزنادقة من القرامطة والفلاسفة .

وهؤلاء الخلف يقولون في كتبهم :

إن من جملة المجسمة قوما يقال لهم المالكية ينسبون إلى رجل يقال له : مالك بن أنس ، وقوم يقال لهم الشافعية ينسبون إلى رجل يقال له : محمد بن إدريس .

حتى الذين يفسرون القرآن منهم كعبد الجبار والزمخشري وهما من أئمة المعتزلة وغيرهما يسمون كل من أثبت شيئا من الصفات وقال بالرؤية مشبها .

وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من غالب الطوائف ولكن المشهور من استعمال اللفظ عند علماء السنة المشهورين أنهم لا يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات ولا يصفون به كل من أثبت الصفات ، بل مرادهم أنه سبحانه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله (1) .

بناء على ما تقدم قلت : هل الشيخ العفيفي ممن يطلق على السلف مجسمة ومشبهة لأنهم يقولون :

إن الله مستو على عرشه بائن من خلقه لا شئ من خلقه في ذاته ولا ذاته في شئ من خلقه كما أخبرنا بلا كيف نعلمه ؟!

إن التعليلات التي أوردها لصرف آية الاستواء عن ظاهرها تؤكد ذلك فهو لا يعرف إلا مذهب الجهمية النفاة .

3] – وإذا كان الاستواء على العرش قد وجد مثله في المخلوقات كما في استواء بلقيس مثلا على عرشها هل يؤدي ذلك إلى إبطال قوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] فننفي عن الله السمع لأن المخلوق له سمع وننفي العلم لأن المخلوق له علم وننفي البصر لأن المخلوق له بصر وهكذا !!!

لقد علم العقلاء أن اتفاق ألفاظ الأسماء لايستلزم التشبيه فإن الله سمي نفسه بأسماء وسمي بعض عباده بتلك الأسماء وليس المسمىكالمسمى

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 61 .

فسمي نفسه حيا عليما قديرا رحيما عزيزا حكيما سميعا بصيرا ملكا مؤمنا جبارا متكبرا ، وقد سمي بعض عباده بهذه الأسماء .

فقال : { يخرج الحي من الميت } [الأنعام : 95] .

وقال تعالى : { وبشروه بغلام عليم } [الذاريات : 28] .

وقال : { بالمؤمنين رؤوف رحيم } [التوبة : 128] .

وقال : { وقالت امرأة العزيز } [يوسف : 15] .

وقال : {وكان وراءهم ملك } [الكهف : 79] .

وقال : { أفمن كان مؤمنا } [السجدة : 18] .

وقال : { كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار }

[غافر : 35] ومعلوم أنه لا يماثل الحي الحي ولا العليم العليم ولا العزيز العزيز .. إلخ .

*** الرد على الشبهة السادسة :**

قولهم :

(إن العالم كرة فالجهة التي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة إلى ساكن ذلك الجانب الآخر من الأرض وبالعكس ، فلو كان المعبود مختصا بجهة فتلك الجهات وإن كانت فوق لبعض الناس لكنها تحت بالنسبة لبعض آخرين ، وباتفاق العقلاء لا يجوز أن يقال : المعبود تحت جميع الأشياء) .

قلت : الخلف نظروا إلى السماء الدنيا على أنها ما يري من اللون الأزرق الناشئ عن انعكاس ضوء الشمس على الذرات المتفرقة في الطبقات العليا للغلاف الجوي ، ولكن إذا تأملنا وضع الأرض كزيتونة معلقة في الفضاء الخارجي كما

رآها رواد الفضاء أو أقل من ذلك بكثير ، أدرك الإنسان أن الأرض ومن عليها لا يمثلون ذرة بالمعني الحديث للكلمة في ملك الله الكائن تحت السماء الدنيا .

ولا يري الإنسان سماءا بلون أزرق كما هو الحال في الأرض ولا يري إلا سوادا قاتما وعماء لاي درك مداه ولا منتهاه إلا الله .

فانظر أخي المسلم : كيف أن الأرض بما فيها قد رآها الإنسان من أقرب الكواكب إلى الأرض كرة صغيرة معلقة في الفضاء أمسكها الله بقدرته .

فماذا لو وصل الإنسان إلى الكواكب البعيدة في المجموعة الشمسية أو المجرات الأخري ، ونظر إلى الأرض ومن عليها ؟!! لربما انعدمت رؤية الأرض تماما !!

أقول : إذا أدركنا هذه العظمة الإلهية في خلقه للكون بصفة عامة والأرض وما فيها بصفة خاصة ، علمنا أن الله في العلو بالنسبة لكل مخلوق على سطح الكرة الأرضية كما دلت الأدلة النقلية القطعية وأن السماء الدنيا بالمفهوم القرآني علو بالنسبة للكرة الأرضية بأكملها وعلي كل نقطة فيها .

فسطح الكرة الأرضية كل موضع فيه يجد المرأ نفسه عند دعائه لربه بفطرته متجها إلى العلو وإلى السماء الدنيا التي حجب الله عنا كيفيتها

وكيفية ما فوقها من السماوات والتي لا تخضع بحال من الأحوال للمقاييس العقلية التي تخمرت في عقل الشيخ العفيفي ومن كان على منهجه من الخلف ، وأراد بها أن يخضع عالم الغيب لقوانين الأرض وإلا ينفي دلالة آيات الكتاب .

قال عبد الله بن عباس :

(ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) (1)

وقال تعالى : { وسع كرسيه السماوات والأرض ولايؤده حفظهما هو العلي

العظيم } [البقرة : 255] .

وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض) (2) .

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 254 بتصرف ، والأثر رواه ابن جرير بسنده ح 3 ص 8 .

2- حديث صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش برقم (85) والبيهقي في الأسماء والصفات ص 510 ، والذهبي في العلو ص 30 وأورده الألباني حفظه الله في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (109) وفي مختصرالعلو ص 130 وقال في تعليقه على الطحاوية : حديث صحيح انظر ص 280 .

فالكرسي الذي وسع السماوات والأرض ذكر رسولنا صلي الله عليه وسلم أنه لا يمثل في ذاته بالنسبة لعرش الرحمن إلا كنسبة الحلقة الحديدية وسط الصحراء .

ولعل ذلك يظهر مدي الضخامة اللامتناهية لحجم الكون ومدي العظمة التي خص الله بها العرش من بين المخلوقات وأن الأرض لا تكاد تمثل ذرة في ذلك الإبداع الرباني .

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي بعد قول ابن عباس السابق أنه من المعلوم ولله المثل الأعلي أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة ، إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها ، وإن شاء جعلها تحته ، وهو في الحالين مباين لها ، عال عليها من جميع الوجوه ، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف .

فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم ، وفعل بها كما يفعل بها يوم

القيامة ، فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن ، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سمواته ؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه ؟ فمن نفي ذلك لم يقدره حق قدره (1) .

ومن ثم إذ قال رب العزة والجلال :

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 254 بتصرف .

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

قال المؤمنون : آمنا بالله وبقول الله على مراد الله ووسعنا ماوسع رسول الله صلي الله عليه وسلم .

*** الرد على الشبهة السابعة :**

قال الخلف : **(إن الأمة أجمعت على أن قوله تعالى :** { قل هو الله أحد } [الإخلاص : 1] **من المحكمات لا من المتشابهات فلو كان مختصا بالمكان لكان الجانب الذي في يمينه يلي ما على يساره فيكون مركبا منقسما فلا يكون أحدا في الحقيقة فيبطل قوله تعالى :** { قل هو الله أحد })

قلت :

1 – هذا قياس للخالق على المخلوق وهو باطل كما تقدم من وجود عديدة .

2 – أن أهل الكلام من الخلف يقولون إن الأحد الصمد هو الذي لا ينقسم وليس بمركب كما جاء الشيخ العفيفي بحجتهم ليبطل معني الاستواء عند أهل السنة والجماعة .

ولكن يقال لمثل هذا : إن كنت تقصد أنه لا يقبل التفرق والانقسام فهو

حق ، وإن كنت تقصد بذلك أنه لا يشار إليه بحال فهذا يمتنع وجوده وإنما يقدر وجوده في الخيال .

فالعرب عندما أطلقوا لفظ الأحد أو الواحد نفيا وإثباتا لم يريدوا هذا المعني ،كما أن لفظ الأحد أو الواحد عندما يطلق على الله عز وجل فإنه يشمل الذات والصفات معا .

أما كون النفاة يريدون أن يجعلوه ذاتا مجردة عن الصفات – تعالى الله عن ذلك – فهذا لا حقيقة له في الواقع ، فالنخلة مثلا لها جذع وليف وسعف وخوص وجمار واسمها شئ واحد فسميت نخلة بجميع صفاتها (1) .

ولذا فإن الخلف يصرون على الابتداع في تقسيم التوحيد إلى أنواع تدور حول واقع هذه الشبهة ، فإنهم لما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أنوع هي :

1- واحد في ذاته لا قسيم له .

2- واحد في صفاته لا شبيه له .

3- واحد في أفعاله لا شريك له .

ستروا تحت هذا التقسيم نفي صفات الذات والأفعال لأن الوحدانية في ذاته عندهم تعني أن ذاته غير مركبة من أجزاء ، إذ لو تركبت ذاته من أجزاء لكانت الذات محتاجة في تكوينها إلى مجموع أجزائها وهذه صفة المخلوق ، ويلزم من ذلك عندهم أنه ليس له يدان ولا أصابع ولا عينان ولا وجه ولا استواء وليس له كل ما ورد في الكتاب والسنة من صفات الذات فإما أن نقول بقولهم وإلا ما وحدناه في ذاته ولكان له قسيم فيها .

1- انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ص 71 .

وهذا الابتداع في توحيد الله لا يعرفه السلف الصالح ولا ثبت عن رسول الله

صلي الله عليه وسلم ، وإنما الثابت في معني التوحيد أن الله منفرد عن العالمين جميعا وعن القواعد والأقيسة التي تحكمهم منفرد ومتوحد عنهم بذاته وصفاته وأفعاله لا سمي له كما قال سبحانه :

{ هل تعلم له سميا } [مريم : 65] .

وكذلك الوحدانية في صفاته عندهم تعني نفي الصفات لأن المخلوقات تتصف بها فهم لا يقرون بمنطق العقلاء من البشر أن المشاركة في الاسم المجرد لا تعني المشابهة أو المماثلة والمطابقة .

ولكن الذي يقرونه ويستميتون في الدفاع عنه بكل سبيل أن إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة تشبيه يؤدي إلى نفي التوحيد .

وهم الذين وقعوا في التمثيل والتكييف والتعطيل والتحريف بالتأويل لكلام الله ورسوله .

وكذلك القول في مكرهم بصفات الأفعال فإنهم لما قالوا : واحد في أفعاله لا شريك له ، ما أرادوا أن الله منفرد بالقدرة المطلقة في فعله وأمره وفقط كما هو المتبادر إلى الذهن وكما هو المفهوم من توحيد الربوبية ، وإنما أرادوا نفي صفة النزول والإتيان والمجئ لفصل القضاء وغير ذلك من صفات الأفعال سواء كان ذلك بالتصريح أو تحت ستار التأويل الباطل ، كقولهم في المجئ مجئ الأمر والنزول نزول الرحمة وغير ذلك مما هو معلوم في موضعه .

* أوصاف عرش الرحمن :

ثبت من نصوص الكتاب والسنة في ذكر عرش الرحمن أنه موصوف بأوصاف كثيرة تدل على سموه في حقيقته وفضله عند ربه وعلوه على سائر المخلوقات منها :

[1– أنه عظيم ذاتا وصفة لقوله تعالى :

{ فإن تولوا فقل حسبي الله لاإله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم }   [التوبة : 129] .

[2– أنه كريم ذاتا وصفة لكماله وسعته فالكرم لايكون إلا عن كمال وسعة قال تعالى : { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم } [المؤمنون : 115 ، 116] .

[3– أنه مجيد أي رفيع عإلى في المكان والمكانة قال تعالى :

{ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد } [البروج : 14 ، 15] على قراءة الخفض .

[4– له حملة دائمون اليوم ويوم القيامة قال تعالى :

{ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به } [غافر : 7] .

وقال في حملهم للعرش يوم القيامة :

{ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية } [الحاقة : 17] .

[5– كان على الماء ولا يزال لقوله تعالى :

{ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء } [هود : 7] .

ولقوله صلي الله عليه وسلم : (يد الله ملأي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، قال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده وقال : عرشه على الماء وبيده الأخري الميزان يخفض ويرفع) (1)

[6– أن الله تعالى تعبد من شاء من ملائكته بأن يحفوا به ويطوفوا ويسبحون الله ويستغفرون للمؤمنين قال تعالى :

{ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم } [غافر : 7] .

1- أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، تفسير سورة هود باب قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) برقم (4684) وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : (لما خلقت بيدي) برقم (7411) وأخرجه مسلم في الزكاة باب الحث على الزكاة وتبشير المنفق بالخلف برقم (993) وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (197) وأخرجه أحمد في المسند ح 7 ص 22 .

[7 – أنه من أول المخلوقات المعلومة لدينا فقد ورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما :

(إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء) (1)

[8- له وزن لا يعلم قدر عظمته وما يساويه إلا الله قال صلي الله عليه وسلم لجويرية بنت الحارث : (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) (2) .

[9- العرش سقف جنة الفردوس التي فوق الجنان لقوله صلي الله عليه وسلم : (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله

1- أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسي عليهما السلام برقم (2653) وأخرجه الترمذي في كتاب القدر برقم (2156) وأخرجه أحمد في المسند ح 2 ص 169 والبيهقي في الأسماء والصفات ص 269 .

2- أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم برقم (2726) وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب التسبيح بالحصي برقم (1503) والترمذي في كتاب الدعاء برقم (3550) والنسائي في كتاب الإفتتاح ، باب نوع آخر من عدد التسبيح برقم (1353) وابن ماجة في كتاب الدعاء برقم (2808) وأحمد في المسند ح2ص 335 وص339 .

فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس الأعلي فإنه أوسط الجنة وأعلي الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) (1)

[10- له قوائم لقوله صلي الله عليه وسلم: (فإن الناس يصعقون فأكون أوّل من يفيق فإذا أنا بموسي آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري ؟ أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور ؟) (2) .

[11- له ظل لقوله صلي الله عليه وسلم : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) وقد صحت الروايات بأن المراد بالظل ظل العرش ، منها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (إن الله تعالى يقول : أين المتحابون بجلإلى اليوم أظلهم

1- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم) برقم (7432) وفي كتاب الجهاد ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله برقم (2790) وأخرجه أحمد في المسند ح 2 ص 335 339 .

2- أخرجه البخاري في كتاب الديات ، باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب برقم (6917) وأخرجه أيضا في مواضع متعددة بألفاظ أخري وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل موسي عليه السلام برقم (2372)

(1374) وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب في التخيير بين الأنبياء برقم (4671) وأحمد في المسند ح 2 ص 264 .

في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي) (1)

[12- الشمس تستقر للسجود تحته فقد روي البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

سألت النبي صلي الله عليه وسلم عن قوله تعالى : { والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم } [يس : 38] .

قال : (مستقرها تحت العرش) .

وفي رواية أخري يقول أبو ذر : دخلت المسجد ورسول الله صلي الله عليه وسلم جالس فلما غربت الشمس قال : (يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها .

1- أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة برقم (660) وفي كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين برقم (1423) وفي كتاب الرقاق ، باب البكاء من خشية الله برقم (6479) والرواية الأخري أخرجها مسلم في كتاب الزكاه برقم (1031) وأخرجها النسائي في آداب القضاة برقم (2391) ومالك في الموطأ ح 2 ص 952 والدارمي ص 371 وأحمد ح 2 ص 237 ، 338 .

ثم قرأ : ذلك مستقر لها) (1) .

[13- يهتز عند الأمور العظيمة كما اهتز لموت سعد بن معاذ فعن جابر بن

عبد الله قال : سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول : (اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) (2) .

[14- امتدح الله نفسه بأنه ذو العرش قال تعالى :

{ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا } [الإسراء : 43 ، 44] .

1- الرواية الأولي أخرجها البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : { تعرج الملائكة والروح إليه } برقم (7433) والثانية في كتاب بدء الخلق باب صفة الشمس والقمر برقم (3199) وفي كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم } برقم (7424) وأخرجها أيضا في مواضع متعددة بألفاظ أخري ، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لايقبل فيه الإيمان برقم (159) ورواها الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة يس برقم (3225) .

2- أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب سعد بن معاذ برقم (3803) وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (2466) والترمذي في كتاب المناقب برقم (3848) وابن ماجة في المقدمة برقم (158) وأحمد في المسند ح 3 ص 296 .

وقال تعالى : { رفيع الدرجات ذو العرش } [غافر : 15] فإذا كان ملك الدنيا يزين عرشه ويتباهي به بين مملكته ويفتخر به بين الملوك أمثاله وهذه فطرة مغروسة في النفوس ، فأولي بنا أن نوحد الله بإفراد عرشه وإثبات المباينة بينه وبين سائر أنواع العروش المخلوقة ، فإن عرش الله أولي بالكمال الذي لا يماثله شئ من عروش الدنيا ، والله أولي بالمدح عند ذكره بين خلقه .

[15- خصه الله بالاستواء عليه فقال جل ذكره :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

ووردت نصوص أخري في أوصاف عرش الرحمن تدل بما لايدع مجالا للشك أن عرش الرحمن حقيقة لا مجاز ، وأن الله استوي عليه حقيقة لا مجاز وقد اتفق على هذا الأنبياء كلهم وذكر في كل كتاب أنزل على كل نبي واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من جميع الطوائف إلا من ضل عن الحق واتبع غير سبيل المؤمنين من الجهمية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم (1) .

وقد سلك الشيخ العفيفي مسلك الخلف في محاولتهم أن يجعلوا كل النصوص السابقة التي وردت في العرش وصفته أمورا مجازية خيالية لا تدل على حقيقة البته وهذا ضلال بين نسأل الله العصمة والسلامة .

1- انظر كتاب شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان ص 436 وما بعدها بتصرف .

الفصل الثاني

حديث الجارية ونصوص الاستواء والمعية بين السلف والخلف

* قال الشيخ العفيفي يحكي مذهب الخلف :

(ويقولون في قول النبي صلي الله عليه وسلم للجارية : أين الله ؟ فقالت : في السماء هو مصروف عن ظاهره وإنما اكتفي صلي الله عليه وسلم منها بقولها في السماء ، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته .

فعامل الجارية بما ألفته وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية ، ولما أشارت إلى السماء علم النبي صلي الله عليه وسلم أنها تعظم الله تعالى وتعتقد وحدانيته وتنفر من آلهة الأرض

التي كانوا يعبدونها) (1) .

قلت : الشيخ العفيفي يقرر مذهب المتكلمين من الأشعرية والمعروف بمذهب الخلف ، فيقولون في قول الجارية : إن الله في السماء هو مصروف عن ظاهره .

1- من كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله للشيخ طه عبد الله عفيفي ص 98 : 99 .

والسؤال الذي يطرح نفسه هل قول الجارية : في السماء ظاهره يدل على معني باطل ؟! لقد أراد الشيخ العفيفي أن يجعل الظاهر المتبادر من قول الجارية هو أن الله في داخل السماء وأنها تحيط به ، وحاشا للنبي صلي الله عليه وسلم أن يقر هذا الظاهر وأن يشهد للجارية بالإيمان لأنها تعتقده فقد قال الله في كتابه :

{ وكان الله بكل شئ محيطا } [النساء : 126] .

فكيف بالذي وسع كرسيه السماوات والأرض أن تحيط السماء به ويكون في داخلها كما قطع الخلف بأن هذا هو ظاهر النص المتبادر إلى الذهن ؟!!

وإن تعجب فعجب قولهم : إنما اكتفي النبي صلي الله عليه وسلم منها بقولها : في السماء ، لأنه كان يكفي في صدر البعثة بالنسبة للعامة وجود الله تعالى ووحدانيته فعامل الجارية بما ألفته وأقرها على اعتقاد وجود الله تعالى وانفراده بالإلهية ، وهذا القول باطل لأن لوازمه أمور عديدة كلها باطلة منها على سبيل المثال :

1] - أنهم جعلوا الاعتقاد على نوعين :

(أ) اعتقاد العوام وهو كاعتقاد الجارية أن الله في السماء .

(ب) اعتقاد الخواص وهو الحق ، ولكن النبي سكت عنه ولم يوضحه للجارية

مع كونه الحق ، ونحن نطالبهم بالدليل على هذا التقسيم وذكر اعتقاد الخواص لأنه لم يرد عن النبي صلي الله عليه وسلم شئ
من ذلك .

2] – أنه في أوّل البعثة كان الاعتقاد مغايرا لنهايتها وهذا كذب صريح فإننا نجزم أن اعتقاد الناس ومنهجهم في الصدر الأول أفضل ممن جاء بعدهم كما هو معلوم في بابه ، وقولهم هذا قول على الله بلا علم وقد حرم الله ذلك فقال سبحانه وتعالى : { قل إنما حرم على ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يترل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لاتعلمون } [الأعراف : 33] .

وقال تعالى : { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا } [الإسراء : 36] .

3] – وما الدليل على أنه كان يكفي في صدر البعثة اعتقاد وجود الله ووحدانيته وإن اعتقد المسلم في الله ما لا يجوز ؟!

4] – ويلزم من قولهم هذا أن أعلم الخلق بربه وأنصحهم لأمته قد أخطأ عندما سئل الجارية أين الله ؟ وأنه كان يجب أن يسألها بما لا يوهم باطلا وهذا افتراء عظيم على الله ورسوله .

5] – ولازم قولهم أيضا أننا لا نعرف أين معبودنا ؟ أهو في السماء أم في الأرض ؟ مادام أنه لا يسأل عنه بأين ، وهذا هدم لنصوص القرآن ودفع لكلام الله
.

* قلت : وأما الجارية فكانت أعلم بدلالة الألفاظ على معانيها من علماء
الخلف لأنها تقصد العلو ، ولا تقصد بوجه من الوجوه أن السماء تحيط به كما زعموا ، وهذا المعني اجتمعت عليه أدلة النقل والعقل فالنبي صلي الله عليه

وسلم في حجة الوداع في اليوم الأعظم في المكان الأعظم لما كان بالمجمع الأعظم قال لهم :

(أنتم مسؤلون عني فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع أصبعه إلى السماء ، رافعا لها وإلى من فوقها وفوق كل شئ قائلا : اللهم أشهد) (1) .

وفي هذا بيان واضح بالمقصود من قول الجارية : إن الله في السماء أن المراد به أنه سبحانه وتعالى في العلو ، وقال سبحانه وتعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف كان نذير } [الملك : 16 : 17] .

والتصريح بأنه تعالى في السماء عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين :

[1- إما أن تكون في بمعني على كما جاء في قوله تعالى عن فرعون : { ولأصلبنكم في جذوع النخل } [طه :71] أي على جزوع النخل وكقوله تعالى أيضا : { فسيحوا في الأرض } [التوبة : 2] .

1- الحديث رواه مسلم وقد تقدم تخريجه انظر ص 13 .

[2- وإما أن يراد بالسماء العلو .

لا يختلفون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره) (1) .

وقال أبو الحسن الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة الذي نصر فيه أهل السنة والجماعة عند قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور } [الملك : 16] .

قال : (السماوات فوقها العرش ولما كان العرش فوق السماوات قال :

{ أأمنتم من في السماء } لأنه على العرش الذي فوق السماوات وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلي السماوات ، وليس إذ قال : { أأمنتم من في السماء } يعني جميع السماوات وإنما أراد العرش الذي هو أعلي السماوات ألا تري الله تعالى ذكر السماوات فقال تعالى :

{ وجعل القمر فيهن نورا } [نوح : 16] ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعا وأنه فيهن جميعا) (2) .

ومن ثم فإن مراد الجارية بقولها : في السماء هو علو الله تعالى على خلقه ، وأن من قال : إن مرادها هو اعتقاد وحدانية الله تعالى وتعظيمه دون إثبات علو الذات كما قال الخلف فهو مخطئ قد جانب الصواب .

وقد كان الأشعري على مذهب الاعتزال ثم رجع عن ذلك إلى مذهب

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 160 بتصرف .

2- انظر الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص 106 : 107 .

السلف وألف في نصرتهم كتبه الإبانة واللمع ورسالة أهل الثغر .

واعلم أنه لو لم يكن هذا هو المراد ما سألها النبي صلي الله عليه وسلم بلفظ الأين ، فلو كان المقصود اعتقاد وجود الله تعالى ووحدانيته لسألها بغير هذا السؤال كأن قال لها : هل تعتقدين أن الله موجود وأنه واحد لا شريك له ؟! أو هل تعظمين الله تعالى ؟!

فعلم عند ذلك المراد بجوابها وأن معني في السماء العلو .

*** علو الله تعالى له ثلاثة معان :**

[1] – علو فوقية : وهو علو الذات وهو ثابت كما تقدم بالكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة ، فهو سبحانه وتعالى مستو على

عرشه بائن من خلقه لا شئ من ذاته في خلقه ولا خلقه في شئ من ذاته ، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويري حركاتهم وسكناتهم لا تخفي عليه منهم خافية .

والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصي وأجل من أن تستقصي والفطرة السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره (1) ومن تلك الأدلة :

1- التصريح بالفوقية مقرونا بآداة من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى : { يخافون ربهم من فوقهم } [النحل : 50] .

1- انظر معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ح 1 ص 92 : 93 .

2- ذكر الفوقية مجردة عن الأداة كقوله تعالى : { وهو القاهر فوق عباده } [الأنعام : 18] .

3- التصريح بالعروج إليه نحو قوله تعالى : { تعرج الملائكة والروح إليه } [المعارج : 4] وكقوله تعالى : { من الله ذي المعارج } [المعارج : 3] وكقوله صلي الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. إلى أن قال : فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم ..) (1) .

4- التصريح بالصعود إليه نحو قوله تعالى : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } [فاطر : 10] .

5- التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى : { بل رفعه الله إليه } [النساء : 158] .

{ إني متوفيك ورافعك إلى } [آل عمران : 55] .

6- التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا

1- أخرجه البخاري في كتاب المواقيت ، باب فضل صلاة العصر برقم (555) وفي كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة برقم (2323) وفي كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى { تعرج الملائكة والروح إليه } برقم (7429) ومسلم في كتاب المساجد ، باب فضل صلاتي العصر والصبح والمحافظة عليهما برقم (210) والنسائي في كتاب الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة برقم (485) وأحمد في المسند ج2 ص 257 .

كقوله تعالى : { سبح اسم ربك الأعلي } [الأعلي : 1] .

{ وهو العلي العظيم } [البقرة : 255] .

{ وهو العلي الكبير } [سبأ : 23] .

7- التصريح بتنزيل الكتب منه كقوله تعالى :

{ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم } [غافر : 2]

{ تنزيل من الرحمن الرحيم } [فصلت : 2] .

8- التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب من بعض نحو قوله تعالى : { إن الذين عند ربك } [الأعراف : 206] وكقوله تعالى : { وله من في السماوات والأرض ومن عنده } [الأنبياء : 19] ففرق سبحانه بين من له عموما وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصا ، وكقول رسول الله صلي الله عليه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه وأنه عنده فوق العرش : (إن الله لما قضي الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي) (1) .

1- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم } برقم (7422) ومسلم في كتاب التوبة ، باب

سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم (**2751**) وأورده البيهقي في الأسماء والصفات ص **82** .

9- التصريح برفع الأيدي إليه سبحانه كقوله صلي الله عليه وسلم : (إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا) (**1**) .

وهناك أدلة أخري كثيرة تدل على علو ذات الله على خلقه .

[2] – المعني الثاني للعلو عند السلف الصالح : علو القهر فلا مغالب له سبحانه وتعالى ولا منازع بل كل شئ تحت سلطانه وقهره قال تعالى : { قل انما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار } [ص : **65**] وقال تعالى : { لوأراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفي مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار } [الزمر : **4**] .

وقد جمع الله تعالى بين علو الذات وعلو القهر في قوله تعالى : { وهو القاهر فوق عباده } [الأنعام : **18**] أي وهو الذي قهر كل شئ وخضع لجلاله كل شئ وذل لعظمته وكبريائه كل شئ وعلا على عرشه فوق كل شئ .

1- حديث صحيح ، رواه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب الدعاء برقم(**4188**) ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب كرم الله تعالى برقم (**3865**) وقال : حسن غريب ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب رفع اليدين في الدعاء برقم (**3685**) وصححه الحاكم في المستدرك ح**1** ص **535** ورواه ابن حبان وصححه ح **6** ص **200** برقم (**4186**) ، (**4188**) وأورده الشيخ الألباني حفظه الله في صحيح الترغيب والترهيب ح **2** ص **273** وفي صحيح أبوداود برقم (**133**) .

[3] – المعني الثالث للعلو عند السلف الصالح : علو الشأن ، فالله سبحانه تعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسني وصفاته العلي .

تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والولي والنصر .

تعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه .

تعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير .

تعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم .

تعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة في السماوات أو في الأرض عن علمه .

تعالى في كمال حكمته عن الخلق عبثا وعن ترك الخلق سدي بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء .

تعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئا من حسناته .

تعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شئ

تعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل (1) .

قال تعالى :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : 11] .

1– انظر كتاب معارج القبول ح 1 ص 90 : 92 بتصرف .

قال صاحب معارج القبول في منظومته :

الأحد الفرد القدير الأزلي : الصمد البر المهيمن العلى

علو قهر وعلو الشان : جل عن الأضداد والأعوان

كذا له العلو والفوقية : على عباده بلا كيفية

فعلوّ الله تعالى معلوم بالفطرة التي فطر الله الناس عليها فما من عابد يطلب من ربه إلا وقلبه يتجه إلى العلو .

ذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعإلى الجويني إمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول :كان الله ولا عرش ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان !

فقال الشيخ أبو جعفر الهمداني : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟!

قال : فلطم أبو المعإلى الجويني على رأسه ، ونزل وقال : حيرني الهمداني حيرني الهمداني !

أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده ، من غير أن يتلقوه من المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو (1) .

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 256 : 266 .

فقارن أخي المسلم بين هذا الاعتقاد الواضح البين وبين اعتقاد الخلف والشيخ العفيفي بأنه ليس في السماء إله .

*** الرد على قولهم :**

إن الذي في السماء هو عذاب الله أو الملك الموكل بالعذاب أما رب العزة فليس في السماء ، قال الشيخ العفيفي في بيان مذهب الخلف : (وقد قال الله فىسورة تبارك : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور } [الملك : 16] **هذه الآية نظيرها قوله تعالى :** { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم } [الأنعام : 65] **وكذلك قوله سبحانه وتعالى :**

{ فخسفنا به وبداره الأرض } [القصص :81] .

قال : والخلف يقولون : { أأمنتم من في السماء } **عذابه كما أن السماء موضع نزول الرحمة ، والمراد من كونه في السماوات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته في الأرض ، ويجوز أن يكون المراد من قوله :** { من في السماء } **هو الملك الموكل بالعذاب والمعني : أن يخسف بهم الأرض بإذن الله أو المراد الملائكة الموكلون بتدبير هذا العالم بإذن الله فهو سبحانه ليس في جهة من الجهات لأن ذلك من صفات الأجسام)** (1) .

1- انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص 99 .

قلت : هذا قول أتباع الجهم بن صفوان والجعد بن درهم (1) وهو قول باطل لأنه قول على الله بلا علم وافتراء عليه فلم يقل به أحد من أئمة السلف الصالح ولا دليل لهم عليه .

فلا يمكن أن يفهم المعني المقصود من النصوص إلا بالرجوع إلى ما عرفه أهل اللغة وقد تقدم أن المفسرين من أهل السنه قد اتفقوا على أن المراد من

1- الجهم بن صفوان زعيم فرقة الجهمية وهو الذي أظهر نفي الصفات وتعطيلها بحجة أن الإيمان بها يدل على التجسيم والتشبيه ، وقد أخذ ذلك عن الجعد بن درهم الذي ضحي به خالد بن عبدالله القسري نائب الخليفة على واسط فإنه قد خطب الناس وقال : ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يتحذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسي تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل وذبحه ، وكان ذلك بعد إقامة الحجة عليه واستفتاء علماء زمانه وهم السلف الصالح ، وكان جهم بعده بخرسان فأظهر مقالة

التعطيل هناك وتبعه كثير من الناس ، وكان قد ناظره قوم من المشركين يقال لهم : السمنية من فلاسفة الهند الذين ينكرون الأمور الغيبية وما سوي المحسوسات ، فقالوا له : هذا ربك الذي تعبده هل يري أو يشم أو يذاق أويلمس ؟ فقال : لا ، فقالوا : هو معدوم ، فبقي أربعين يوما لا يعبد شيئا ثم خرج عليهم باعتقاد شيطاني نحته فكره فقال : إن الله في العالم كالروح في الجسد وهو كل الوجود ونفي جميع الصفات التي تعارض ذلك ، وقد تبني المعتزلة والأشعرية منهجه وسار خلفه الكثير منهم سواء كان بعلم منهم أو بغير علم أمثال الشيخ العفيفي والشيخ أمين محمود خطاب ، انظر شرح العقيده الطحاويه ص **530** ، **531** بتصرف .

قوله تعالى : { في السماء } أحد أمرين :

1- إما أن تكون في بمعني على .

2- وإما أن يكون المراد بالسماء العلو .

لا يختلفون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره ، فالله تعالى يقول : إنه في السماء ، وهؤلاء يقولون : إنه ليس في السماء .

ولا يمكن لعاقل أن يترك قول الله إلى قول أصحاب التمثيل والتكييف والتعطيل والتأويل بغير دليل .

* أما تفسيرهم لقوله تعالى : { أأمنتم من في السماء } بالعذاب أو بالملك الموكل به أوجبريل أوغير ذلك فهو باطل من الوجوه الآتية :

[1- أن اللفظ لا يحتمل هذا التاويل .

[2- أن الأصل حمل اللفظ على ظاهره ولا يصرف عن ظاهره إلا بدليل متفق عليه ولا دليل لهم على صرفه عن معناه الظاهر .

[3- أن (من) في أغلب الأحيان تستعمل للعقلاء ومعلوم أن العذاب لا يعقل

.

[4- قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا } [الملك : 16 : 17] فيه الفعلان يخسف ويرسل بالبناء للفاعل المعلوم ، ولا يصح عوده على العذاب أو العقوبة لأنه لو كان كما قالوا لكان مبنيا للمفعول فالعذاب لا يرسل نفسه بل يرسله الله ولكان تقدير

الآيات : (أأمنتم العذاب الذي في السماء أن يرسل عليكم حالة كونه حاصبا) ومعلوم ما في هذا التأويل من الفساد .

وكذلك لا يصح أن يكون الفاعل في يرسل أو يخسف هو الملك الموكل بالعذاب أو جبريل لأن الملك لا يعذب أحد بإرادته هو بل يفعل ما يؤمر به فقط قال تعالى في وصف ملائكته : { لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } وقال : { وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون } [الأنبياء 26 : 27] ولو كان المعني كما أرادوا لقال : (أأمنتم الملك الذي وكلناه بالعذاب في السماء أن نأمره فيرسل عليكم حاصبا أو نأمره فيخسف بكم الأرض) ولكنه لم يقل ذلك .

والمعني ظاهر واضح لا يحتاج إلى لي الأعناق ولا هذا التأويل المستقبح ولا فلسفة المتكلمين من الخلف .

[5- سياق الآيات يدل على أن المراد من قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] هو الله تعالى وأنه في العلو ويمنع أن يكون المراد هو العذاب أو الملك الموكل به .

ووجه كون السياق يأبي هذا التأويل الممقوت أن الآيات المذكورة إنما هي في وصف قوة الله وقهره وشدة عقابه فكيف تأوّل بانصرفها إلى الملك أو العذاب وبيان ذلك :

أنه سبحانه ذكر في الآيات السابقة صفات ذاته فذكر صفة العلم في قوله تعالى : { وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } [الملك 13 : 14] ثم تحدث عن صفات أفعاله وخلقه للأرض مذلّلة ممهدة فقال جل ذكره :

{ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور } [الملك : 15] وبعد ذلك ذكر الآيات التي أوّلها الخلف وفيها تحدث عن قدرته سبحانه على إهلاك من يكفر بنعمه فقال تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير } [الملك 16 : 18] .

ثم ذكر الحق تبارك وتعالى قدرته في إمساكه للطير في السماء فقال : { أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شئ بصير } [الملك : 19] .

ثم ذكر قدرته سبحانه في نصر أوليائه فقال :

{ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ، أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجو في عتو ونفور } [الملك 20 : 21] .

فالسياق كله يدل على تعظيم الله وبيان صفات الذات وصفات الأفعال فكيف يأتي الخلف ويجعلونه في صلب تلك الآيات يدل على ملك من الملائكة أو على العذاب ؟!

[6- أن تأويلهم لقوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] .

بالعذاب أو الملك الموكل بالعذاب أو أهم الملائكة الذين يدبرون أمر هذا العالم بإذن الله يبطله حديث الجارية لما سألها رسول الله صلي الله عليه وسلم : أين الله ؟ فقالت : في السماء .

قال لسيدها : اعتقها فإنها مؤمنه (1)

فالرواية تدل على أن الله في السماء صراحة فإن أوّلوا الآية بالباطل فلا سبيل لهم إلى تأويل الحديث لأنه نص في محل الاستدلال .

ولذلك وصفوا الجارية كما تقدم بأنها من العوام الذين لا يفقهون وما ذلك إلا لخوائهم وقوة الأدلة في مواجهة ضعفهم .

*** وأما قول الخلف :**

(والمراد من كونه تعالى في السماوات وفي الأرض نفاذ أمره وقدرته وجريان مشيئته في السماوات والأرض)

فهو باطل ولم يقل به أحد من السلف بل ابتدعه هؤلاء المتأخرون من الخلف الذين تركوا منهج السلف الصالح واتبعوا أهواءهم زاعمين أنهم ينزهون الله عن مشابهة المخلوقات فضلوا وأضلوا .

1- حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص 91.

وللمفسرين من سلف الأمة في معني قوله تعالى : { وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون } [الأنعام : 3] ثلاثة أقوال كلها صحيحة ولها شواهد من القرآن ، ولكنهم اتفقوا على إنكار قول الجهمية القائلين بإنه سبحانه في كل مكان :

* القول الأول :

أن المعني المراد بقوله تعالى : { وهو الله في السماوات وفي الأرض }

أي هو الإله المعبود في السماوات والأرض لأنه جل وعلا هو المعبود بحق في

الأرض وفي السماء وعلي هذا فجملة : { يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون } حال أو خبر .

وهذا المعني يبينه ويشهد له قوله تعالى : { وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله } [الزخرف : 84] أي هو المعبود بحق في السماء والأرض ول اعبرة بعبادة الكافرين غيره وهذا القول اختاره القرطبي (1) .

* القول الثاني :

أن قوله : { في السماوات وفي الأرض } يتعلق بقوله تعالى :

{ يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون } ويكون المعني : وهو الله الذي يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض .

ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى : { قل أنزله الذي يعلم السر في

1- انظر أضواء البيان ج 2 ص 181: 182 .

السماوات والأرض } [الفرقان : 6] قال النحاس : وهذا القول أحسن ما قيل في الآية نقله عنه القرطبي (1) .

* القول الثالث :

وهو اختيار ابن جرير : أن الوقف تام على قوله تعالى : { في السماوات } وقوله : { وفي الأرض } يتعلق بما بعده ويكون المعني : وهو الله في السماوات ، يعلم سركم وجهركم في الأرض ومعني ذلك أن الله تعالى مستو على عرشه فوق خلقه مع علمه الكامل بما يسرون وما يعلنون لا يخفي عليه شئ من ذلك .

ويبين هذا ويشهد له قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور } [الملك : 16] وقوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] مع قوله تعالى : { وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : 4] وقوله تعالى أيضا : { فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين } [الأعراف : 7]

. (2)

فتلك هي المعاني التي لاتتعارض مع النقل أو العقل فلا نتركها إلى قول من يقدم هواه على كتاب الله .

*** وأما عن قولهم : (فهو سبحانه ليس في جهة من الجهات لأن ذلك**

1- انظر السابق ص 182 .

2- انظر السابق ص 182 .

من صفات الأجسام) .

فلا بد من وقفة عنده وبيان القول الحق في ذلك .

فلو سأل سائل هل نثبت لله تعالى جهة ؟ قلنا له : لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء .

وأما المراد من معني الجهة فإما أن يراد به جهة سفل أوجهة علو تحيط بالله أو جهة علو لا تحيط به :

* فالأول باطل لمنافاته لعلو الله الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع .

* والثاني باطل أيضا لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شئ من مخلوقاته.

* والثالث حق لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شئ من مخلوقاته . (1)

وقد طلب من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن يعتقد نفي الجهة عن الله فأجاب رحمه الله :

(أما قول القائل يطلب نفي الجهة عن الله فليس في كلامي إثبات هذا اللفظ ، لأن إطلاق هذا اللفظ نفيا أو إثباتا بدعة وأنا لم أقل إلا ما

1- انظر كتابه القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني ص 31 بتصرف وهو كتاب عظيم لمن أراد المزيد في هذا الباب .

جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة .

فإن أراد قائل هذا القول : أنه ليس فوق السماوات رب ولا فوق العرش إله ، وأن محمدا لم يعرج به إلى ربه وما فوق العالم إلا العدم المحض فهذا باطل مخالف لإجماع سلف الأمة .

وإن أراد بذلك أن الله لا يحيط به مخلوقاته ولا يكون في جوف الموجودات فهذا مذكور مصرح به في كلامي) (1) .

فكلام شيخ الإسلام يدل على أن السلف الصالح أثبتوا علو الله على خلقه كما ورد ذلك في الكتاب والسنة ويدل أيضا على أن لفظ الجهة على إطلاقه غير محدد الدلالة فوجب فيه الاستفصال ، فإن من لايكون في جهة على الإطلاق يقتضي عدم وجوده بالكلية وهذا يؤدي إلى نفي الاستواء والعلو والرؤية وغير ذلك مما ثبت في النقل الصحيح .

*** الجمع بين آيات الاستواء وآيات المعية وحديث الجارية :**

قال الشيخ العفيفي يحكي قول الخلف :

(وهنا سؤال : هل الله سبحانه وتعالى في السماء ؟ احتج المشبهة بهذه الآية على إثبات المكان لله وهي قوله تعالى : { أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] .

والجواب : أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق

1- انظر مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية ج 5 ص 26 : 265 .

المسلمين لأن كونه سبحانه في السماء يقتضي كون السماء تحيط به من جميع الجوانب ، فيكون سبحانه أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير بل وأصغر من الكرسي الذي وسع السماوات والأرض .

فيلزم أن يكون شيئا صغيرا بالنسبة إلى العرش وذلك محال لأنه تعالى قال :

{ قل من رب السماوات والأرض قل الله } **[** الرعد : **16]** .

وقال تعالى : { وهو الله في السماوات وفي الأرض } **[** الأنعام : **3]** **فهل يعقل أن تكون الذات الواحدة في مكانين في آن واحد ؟ إذن يجب صرف هذه الآية وأمثالها عن ظاهرها)**

وقال الشيخ العفيفي في موضع آخر :

(وليت شعري أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر ؟ فيقولون : إن الله في السماء بمقتضي قوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } **[** الملك : **16]** **أم على العرش بمقتضي قوله تعالى :** { الرحمن على العرش استوي } **[** طه : **5]** **أم في الأفاق بمقتضي قوله تعالى :**

{ وهو معكم أينما كنتم } **[** الحديد : **4]) (1)**

1–انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص **99** وما بعدها .

قلت : أنظر أخي المسلم كيف أنه يصف السلف الصالح بالمشبهة زاعما أنه يتره الله عن التشبيه وهو ما وقع في ذلك إلا لأنه شبه الله بخلقه بمقاييسه العقلية فأوداه في مهالك التعطيل ونفي الأدلة الصريحة بمذموم التأويل .

وسوف أبين بحول الله وقوته التفسير الوافي لهذه التساؤلات وإزالة ما يحاول إثباته من التعارض بينها على ضوء مذهب السلف الصالح .

* أما عن كون الله تعالى في السماء فقد تقدم أنه لا إشكال فيه فعندما جاء

في القرآن الكريم قوله تعالى : { أأمنتم من فىالسماء أن يخسف بكم الأرض } [الملك : 16] .

لم يكن هناك إشكال عند الصحابة وهم أهل اللغة وأعرف الناس بها فلم يرد ثمة أثر يبين أن هناك من الصحابة من أتي إلى النبي صلي الله عليه وسلم وسأله :

هل الله في داخل السماء ؟! أو أن السماء تحيط به ؟! أو حتى من كافر منكر على القرآن حين نزوله بهذه الآية يقول :

إن إله محمد تحيط به السماء ، إنما فهموا بسليقتهم أن المقصود من كونه في السماء أنه في العلو .

وهذا ما فطر الناس عليه ، فلو سألنا أحد العوام كما سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم الجارية عن الله فإنه يقول :

إنه في السماء ، فلو قلنا له : هل تقصد أنه في داخل السماء وأن السماء تحيط به ؟ لقال بداهة : معاذ الله !!

وقد دلت الآيات على أن الله تعالى محيط بكل شئ وفوق كل شئ :

قال تعالى : { والله من ورائهم محيط } [البروج : 20] .

وقال تعالى : { ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شئ محيطا } [النساء : 126] .

وروي الإمام البخاري رحمة الله عن عبد الله بن عمر : (أن يهوديا جاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول : أنا الملك ، فضحك النبي صلي الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ : { وما قدروا الله حق قدره } [الزمر : 67]) (1) .

وفي رواية أخري للبخاري عن عبد الله بن عمر : فضحك رسول الله صلي

الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له) .

1- أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : { وما قدروا الله حق قدره } برقم (4811) وفي كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : { لما خلقت بيدي } برقم (7415) وأخرجه مسلم في كتاب المنافقين برقم (2786) والترمذي في كتاب التفسير ، تفسير سورة الزمر برقم (3238) وأخرجه أحمد في المسند ح 1ص 457 والبيهقي في الأسماء والصفات ص 333 وابن خزيمة في كتابه التوحيد ، باب ذكر إمساك الله السماوات على أصابعه ص 77 .

فهذا الحديث يدل على عظمة الله تعالى حيث يضع السماوات كلها على إصبع من أصابعه الكريمة العظيمة ، فكيف يتصور بعد هذه العظمة أن المراد من قوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك 16] الظرفية وأنه داخل السماء .

* وأما كونه تعالى فوق المخلوقات فقال عز وجل : { وهو القاهر فوق عباده } [الأنعام : 18] .

وقال صلي الله عليه وسلم : (لما قضي الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي) (1) .

فلو كانت الظرفية هي المرادة من قوله في السماء لم يكن الله فوقها بل في داخلها فعند ذلك علم المراد وهو أن الله في العلو .

* وأما عن عقيدة أهل السنة والجماعة بالنسبة للآيات التي أوردها والتي أوجب فيها أن تصرف عن ظاهرها ، فهي واضحة لا إشكال فيها بل تجعل المؤمن يشعر بعظمة الله عز وجل كلما قرأها فقول الله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] هي على ظاهرها عند السلف ،

فالله تعالى بذاته فوق العرش والعرش فوق سبع سموات .

ومن صرف هذه الآية عن ظاهرها أو فسر الاستواء بالاستيلاء بحجة أن ظاهرها يوهم التشبيه فقد أخطأ خطأ عظيما وجانب الصواب .

1- حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص **153** .

فإن قيل : كيف يكون فوق العرش بمقتضي قول تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : **5**] .

ويكون في كل مكان بمقتضي قوله تعالى :

{ وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : **4**] .

ويكون في السماء بمقتضي قوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك **16**] .

قيل : إن الله عز وجل بذاته فوق العرش بائن من خلقه وهو معنا أينما كنا معية حقيقية مقتضاها العناية بالخلق واللطف بهم .

فالله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق ثم انعزل عنه كما ادعي الفلاسفة وغيرهم ، بل هو معنا معية مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة والنصر والتأييد في المعية الخاصة ، معية مقتضاها إحاطته تعالى بنا سمعا وبصرا وقدرة وتدبيرا ونحو ذلك من معاني الربوبية .

ومن هنا تأتي العظمة الربانية حيث يكون فوق العرش وبين الأرض والعرش مسافات شاسعة بالنسبة إلينا لا يعلمها إلا الله ومع هذا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وقد تقدم قول العلامة ابن منده الذي يدل على الفهم الدقيق لاعتقاد السلف الصالح :

(قريب غير ملاصق وبعيد غير منقطع وهو سبحانه وتعالى يسمع ويري وهو بالمنظر الأعلي وعلي العرش استوي ، فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شئ محيط) (1) .

فقوله : قريب غير ملاصق أي بالنسبة إليه فالخلق جميعا في قبضته كخردلة في يد أحدنا .

قال عبد الله بن عباس :

(ما السماوات السبع والأرضون وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) (2) .

وعلي الرغم من ذلك فوق عباده وجميع خلقه .

وقوله : بعيد غير منقطع أي بالنسبة إلينا فعلي الرغم من البعد الكبير بين الأرض والسماوات العلي وما فوقها من الماء والعرش إلا أنه سبحانه يعلم السر وأخفي ، روي ابن خزيمة في كتابه التوحيد بسنده عن عبد الله بن مسعود قال :

(ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام والعرش فوق السماء والله تبارك وتعالى فوق

1- انظر قول ابن منده ومصدره ص 41 .

2- تقدم وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص 254 .

العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) (1)

قلت : فإذا كانت عقيدة عبد الله بن مسعود أن الله فوق العرش ويعلم ما نحن عليه فكيف يوجبون صرف الاستواء في قوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } عن ظاهرة كما يقول الشيخ العفيفي وهل الخلف أعلم من ابن مسعود ؟

قال تعالى في إظهار تعلقات علمه :

{ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البروالبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار } [الأنعام 59 : 60]

.

ويقول تعالى في شمولية علمه وقدرته :

{ إن الله لا يخفي عليه شئ في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء } [آل عمران : 5] .

ويقول تبارك وتعالى في إظهار قربه من خلقه :

1- انظركتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، لابن خزيمة ص 105 وهذه الرواية صححها ابن القيم في كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية ص 100 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رجال السند رجال الصحيح انظر ح 1 ص 86 وأوردها البيهقي في الأسماء والصفات ص 401 .

{ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } [ق : 16] .

وقالت أم المؤمنين عائشة عن المجادلة التي سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات :

(الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلي الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله تعالى : { قد سمع

الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير } [المجادلة : 1] (1)

وقد سبق في ذكر رأي أبي حنيفة أنه كفر من قال من الجهمية :

لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض لأن الله يقول : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] وعرشه فوق سبع سموات وكفره أيضا في قوله :

هو على العرش استوي ولا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ لأنه

1- صحيح أخرجه البخاري معلقا في كتاب التوحيد ، باب { وكان الله سميعا بصيرا } انظر ح 13 ص 384 طبعة دار الريان للتراث ، وأخرجه أحمد ح6 ص 46 ، وأخرجه النسائي في كتاب الطلاق ، باب الظهار برقم (168) وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (188) وصححه الشيخ الألباني في صحيح النسائي برقم (3237) .

أنكر أن يكون في السماء والله سبحانه وتعالى في أعلي عليين يدعي من أعلي لا من أسفل (1) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معقبا على كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله :

(ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه : أنه كفر الواقف الذي يقول لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول :

ليس في السماء أو ليس في السماء ولا في الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله :{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

قال : وعرشه فوق سبع سموات ، وبين بهذا أن قوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } يدل على أن الله فوق السماوات فوق العرش ، وأن الاستواء على العرش دل على أن الله بنفسه فوق العرش .

ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال : إنه على العرش ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض قال :

لأنه أنكر أنه في السماء ولأن الله في أعلي عليين وأنه يدعي من أعلي لا من أسفل) (2) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى :

1- انظر قول أبي حنيفة ومصدره ص 36 .

2 - انظر مجموع الفتاوي ج 5 ص 48 .

{ ثم استوي على العرش } [الحديد : 4] .

قال : العرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) (1)

وقال سليمان التيمي : لوسئلت أين الله ؟

لقلت : في السماء .

فإن قال : أين كان عرشه قبل السماء ؟

لقلت : على الماء .

فإن قال : أين كان عرشه قبل خلق الماء ؟

لقلت : لا أعلم .

قال الإمام البخاري رحمه الله معقبا : وذلك لقوله تعالى : { ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء } [البقرة : 255] يعني إلا بما بين (2) .

وقال أبو نصر السجزي : وأئمتنا كسفيان ومالك والحمادين وابن عيينه والفضيل وابن المبارك وأحمد بن حنبل واسحاق متفقون على أن الله سبحانه فوق العرش وعلمه بكل مكان ، وأنه يترل إلى السماء ، وأنه يغضب ويرضي ويتكلم بما شاء (3) .

1 – انظر خلق أفعال العباد ص 43 .

2– انظر المرجع السابق ص 37 .

3– انظر سير أعلام النبلاء ج 17 ص 650 .

وقال اسحاق بن راهويه في قول الله تعالى { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] :

أجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوي ويعلم كل شئ في أسفل الأرض السابعة وفي قعور البحار ورؤس الآكام وبطون الأدوية وفي كل موضع ، كما يعلم علم ما فوق السماوات السبع وما فوق العرش أحاط بكل شئ علما فلا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا قد عرف ذلك كله وأحصاه ، فلا تعجزه معرفة شئ عن معرفة غيره (1) .

فهذه جملة من أقوال السلف تدل على أنهم يعتقدون أن الله بذاته على العرش ، وهو عليم بالأفعال والأحداث في كل مكان ، فلا تعارض بين قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

وقوله تعالى : { وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : 4] .

* وأما عن قوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] والجمع بينه وبين قوله تعالى : { الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] فقد علمنا مما تقدم أن { من في السماء } يفسرها أهل السنة على أن في بمعني على أو المراد بالسماء العلو .

1– انظر درء تعارض العقل والنقل ح 2 ص 34 : 35 .

ولما كان العرش هو أعلي المخلوقات قال : { أأمنتم من في السماء } وقد

سبق ذكر توفيق أبي الحسن الأشعري في كتابه الإبانة عن أصول الديانة لما يدعونه من تعارض بين هذه الآيات .

* وأما عن قول الله تعالى :

{ وهو الله في السماوات وفي الأرض } [الأنعام : 3] .

فقد تقدم تفسير هذه الآية ولا تعارض بينها وبين قوله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

فالله على العرش وفي السماوات أي في العلو ، أو أنه على العرش ويعلم سرنا وجهرنا في السماوات وفي الأرض كما تقدم .

وهذه الآيات التي أوردها الشيخ العفيفي زاعما أنها متعارضة ويجب صرفها عن ظاهرها قد جمعها الله في آية واحدة في سورة الحديد حيث قال : { هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوي على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير } [الحديد : 4] .

ففي قوله تعالى : { ثم استوي على العرش } إثبات الاستواء لله تعالى وأنه على العرش بذاته ويعلم ما يلج الأرض وما يخرج منها ويعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها .

وقوله : { وما يعرج فيها } شاهد لقوله تعالى : { أأمنتم من في السماء } حيث أنه في العلو ، والعروج هو الصعود إلى أعلي .

وقوله تعالى : { وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : 4] ذكر قبلها قرينة العلم وبعدها قرينة أخري وهي رؤيته تعالى لأفعال العباد ، فهذا دليل على أنه معنا بعلمه ورؤيته وصفاته .

*** الرد على قولهم : السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة**

.

قال الشيخ العفيفي :

(وأما رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة) (1)

قلت :

رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء أمر فطري فطر الناس عليه لكونه تعالى فوق سبع سموات ، أما هذا التأويل الباطل فيجاب عنه بالوجوه الآتية :

1- قول من قال : إن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به سلطانا ، وهذا من الأمور الشرعية الدينية ، فلا يجوز أن يخفي على جميع سلف الأمة وعلمائها ويعلمه الخلف .

2- أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة

1- انظر كتاب الشيخ لعفيفي ص 101 .

وكان النبي صلي الله عليه وسلم يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة فعن عبد الله بن زيد قال : (خرج النبي صلي الله عليه وسلم إلى هذا المصلي يستسقي فدعا واستسقي ثم استقبل القبلة) (1) .

فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة أو أن له قبلتين إحداهما الكعبة والأخري السماء فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين .

3- أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر ، وكما يوجه المحتضر والمدفون ولذلك سميت وجهة قال تعالى : { فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره } [البقرة : 150] .

والاستقبال خلاف الاستدبار فالاستقبال بالوجه والاستدبار بالدبر أما ما حازاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمي قبلة لاحقيقة ولا مجازا .

فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان من المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها وهذا لم يشرع ، والموضع الذي ترفع اليد إليه لايسمي قبلة لا حقيقة ولا مجازا .

1- أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء مستقبل القبلة برقم (**6343**) ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء برقم (**894**) وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفريعها برقم (**1161**) والترمذي في كتاب الجمعة برقم (**556**) وأحمد في المسند ح **4** ص **38** .

4- أن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع ولم يأمر الرسول صلي الله عليه وسلم الداعي أن يستقبل السماء بوجهه بل نهوا عن ذلك .

ومعلوم أن التوجه بالقلب والطلب الذي يجده الداعي في نفسه أمر فطري يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل ، وأكثر ما يفعله المضطر المستغيث بالله كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله .

5- أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة ، وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر .

كما أن المستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك بخلاف الداعي فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده .

فإن قيل رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء منقوض بوضع الجبهة على الأرض ، فالجواب أن واضع الجبهة على الأرض إنما قصد الخضوع لمن فوقه بالذل له لا أنه تحته فإن هذا لا يخطر في قلب ساجد وإنما ينظر بقلبه في أثناء سجوده إلى العلو (**1**) .

وقد تقدم أن أبا جعفر الهمذاني حضر مجلس أبي المعالى الجويني وهو يقول

:كان الله ولا عرش ولا مكان وهو على ما كان عليه قبل خلق المكان أو كلام من هذ المعني .

فقال يا شيخ : دعنا من ذكر العرش ، أخبرنا عن هذه الضرورة التي

1- انظرشرح العقيدة الطحاوية ص 267 ، 268 بتصرف .

نجدها في قلوبنا ، فإنه ما قال عارف قط : يا ألله إلا وجد من قلبه ضرورة لطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟ فصرخ أبو المعإلى ولطم رأسه وقال : حيرني الهمذاني (1) .

*** الخلف يزعمون أنه لاضير في ألا يعرف الإنسان أين ربه .**

قال الشيخ العفيفي :

(وماذا يضيرنا لو قلنا : إننا نؤمن بالله وبوجوده المتيقن المؤكد وبهيمنته على الخلق ولكننا لا ندري أين هو ؟!

وهل لو سألني سائل عن رئيس من الرؤساء أموجود هو ؟ فقلت هو موجود يأمر وينهي ويصرف الأمور فإذا سألني وأين هو ؟ فقلت لا أدري ، غير أني أؤمن أنه موجود أيكون جوابي هذ1حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه ؟ اللهم إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) (1)

قلت : الرد عليه من وجوه :

[1- لازم قولك : رد النصوص الثابته عن الله ورسوله وقد نهانا الله عن ذلك وحرمه علينا فقال تعالى :

{ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك

1- انظر شرح كتاب التوحيد للغنيمان ص 472 .

2- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 105 .

منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله

بغافل عما تعملون } [البقرة : 85] .

فكيف نرد قول الله تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

وقوله تعالى :

{ وهو معكم أينما كنتم } [الحديد : 4] .

وقوله تعالى :

{ أأمنتم من في السماء } [الملك : 16] .

وقوله تعالى : { وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم } [الأنعام : 3] .

وقوله تعالى :

{ ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم ولاخمسة إلاهو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم } [المجادلة : 7] إلى غير ذلك من الآيات .

أو كيف نرد الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلي الله عليه وسلم وقد تواترت الروايات على إثبات العرش وعلو الله عليه وعلي جميع المخلوقات .

[2- لو قلنا كما قال الخلف لأدي ذلك إلى وصف الله تعالى بالنقص حيث كلم الله عباده بما لا فائدة فيه ، ويكون القرآن والسنة مليئين بالحشو

والألفاظ الغامضة وهذا باطل لقوله تعالى :

{ الر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون } [يوسف : 1، 2] .

فيا من تطلب الحق على طريقة الخلف هل تعتقد أن القرآن ملئ بالحشو والألفاظ الغامضة والألغاز والأحاجي التي لا يعي معناها أحد من الناس ونقول هذا لا يضيرنا في شئ ؟! اللهم إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في

الصدور .

[3- لو اتبعنا طريقة الخلف لكان هذا تفضيل لها على طريقة الرسول صلي الله عليه وسلم ومعلوم ما في هذا من فساد ، فالأمة متعبدة باتباع النبي صلي الله عليه وسلم ومعرضون للعقاب على مخالفته فكيف نترك طريق الحق ونتبع طريق الهوي .

[4- قول الخلف :

(لو سألني سائل عن رئيس من رؤساء أموجود هو ؟ فقلت : هو موجود يأمر وينهي ، فإن سألني أين هو فقلت : لا أدري ، أيكون جوابي حكما بعدم وجود الرئيس المسئول عنه ؟)

قلت : وماذا يضيرنا لو سألنا سائل عن رئيس من الؤساء أين هو ؟ فقلنا في مدينة كذا هل نكون قد قلنا غير الحق ؟

أم أجبنا بما يريح النفس ويكف طلبها ولا يربكها وذلك أفضل بكثير من قولك لا أدري ؟

ولله المثل الأعلي : لو سألنا سائل عن الله كما سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم الجارية أين الله ؟

فأجبنا بما أجابت به الجارية : أنه سبحانه في السماء استوي على العرش هل نكون قد شبهنا الله ومثلناه بالمخلوق كما يعتقدون ؟ أم الحق عندهم هو قولنا لا ندري ونكذب بآيات الكتاب ؟

اللهم إنها لاتعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .

[5- لو فرضنا أن شخصا ما أراد أن يقابل ذلك الرئيس الذي لا يدري الشيخ العفيفي أين هو ، وأخذ يسأل عنه في كل مكان فكلما سأل عنه شخصا أجابه بقوله لا أدري إلى أن انتهي كل الجنس البشري على الأرض ولم يجد شخصا واحدا يعلم أين هو ؟!

هل يكون الرئيس بذلك موجودا أم معدوما ؟!

اللهم إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .

فالخلق كلهم يطلبون من الله حوائجهم وهو يستجيب لهم ومن فطرتهم أنهم يتوجهون إلى السماء بالدعاء وطلب العون والمدد .

فهل بعد ذلك لا يجوز أن نسأل عنه بأين ؟ وأن ننفي كونه في السماء على العرش ؟!

[6- وهل كون الشيخ العفيفي لا يدري أين الرئيس لعدم متابعته للأخبار المذاعة أو المرئية أو المقروءة أو لعدم سؤاله عنه يلزم منه عدم العلم لمن تابع الأخبار وعلم أن الرئيس في مدينة كذا !

فنحن تابعنا كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم فوجدنا النبي شهد للجارية بالإيمان لأنها قالت : إن الله في السماء (1) .

وقالت أم المؤمنين زينب : زوجني الله في السماء ، وقالت أيضا : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات (2)

وعلمنا أن الله تعالى قال في كتابه الكريم :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

ودلت الأدلة على علوه سبحانه على خلقه إلى آخر ما يجب معرفته في توحيد المعرفة والإثبات وما يتعلق بالأسماء والصفات وندعوك أيضا لأن تعلم ذلك وتؤمن به .

*** قال الشيخ العفيفي :**

وقال يحي الرازي وقد قيل له : أخبرنا عن الله تعالى .

فقال : إنه واحد .

فقيل : كيف هو ؟

فقال : ملك قادر .

فقيل : أين هو ؟
فقال : بالمرصاد .
قال السائل : لم أسألك عن هذا ؟

1- حديث صحيح تقدم تخريجه ص 91 .

2- حديث صحيح تقدم تخريجه ص 53 .

فقال : ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه (1)

قلت يكفي أن نقارن بين قول النبي صلي الله عليه وسلم للجارية أين الله ؟ فقالت في السماء .

وبين قول يحيي الرازي لما سئل عن الله أين هو ؟ فقال بالمرصاد ، فقال السائل : لم أسألك عن هذا فقال :

ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق فأما صفته فما أخبرت عنه .

قلت :

فهل يحي الرازي علم شيئا من صفات الله والرسول لم يعلمها ؟

أو أن رسول الله صلي الله عليه وسلم اعتقد ما هو خطأ ؟

أو هل هو أعلم من رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟

أو أن كلام الرسول في الله يوهم التشبيه والتمثيل بالمخلوق وعدم التتريه أما كلام يحي الرازي فهو الحق الذي لا تشوبه شائبة ؟ اللهم إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور .

*** قال الشيخ العفيفي ينصر مذهب الخلف :**

1- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 105 وانظر مجموعة الرسائل للشيخ

حسن البنا رحمه الله ص 297 .

(وقال جعفر الصادق رضي الله عنه : من زعم أن الله سبحانه وتعالى في شئ أو من شئ أو على شئ فقد أشرك بالله ، إذ لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان في شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا تعالى الله عن ذلك) (1) .

قلت :

أما قول جعفر الصادق فإن السلف يقرونه في قوله : من زعم أن الله في شئ أو من شئ فقط .

وأما قوله : من قال : إن الله على شئ فقد أشرك فلا ، لأن الله لا يحيط به شئ كما تقدمت أدلة الكتاب والسنة على ذلك .

فهو سبحانه وتعالى ليس من شئ لأن هذا صفة المخلوق المحدث والله تعالى يقول : { قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } [الإخلاص] .

وقال تعالى : { هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم } [الحديد : 3] وقول النبي صلي الله عليه وسلم : (كان الله ولم يكن شئ قبله) وقد تقدم .

وأما قوله من زعم أن الله على شئ فقد أشرك بالله لأنه لو كان على شئ لكان محمولا ، فهو باطل لأن الله عز وجل عال على عرشه فوق سبع سماوات .

1- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 105 .

قال تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

ولا يلزم من ذلك أن يكون محمولا ، فالله تعالى يحمل العرش وما دونه

بقدرته وقد تقدم جواب ذلك .

فاعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى عال على عرشه بائن من خلقه لا شئ من خلقه في ذاته ولا ذاته في شئ من خلقه .

*** قال الشيخ العفيفي :**

وقال بعض العلماء لتلميذ يمتحنه : لو قال لك أحد : أين معبودك ؟ فأي شئ تقول ؟ قال: كنت أقول : حيث لم يزل قال : فإن قال لك : فأين كان في الأزل ؟ فأي شئ تقول ؟ قال أقول : حيث هو الآن ولا مكان فهو الآن على ما عليه كان .

قال التلميذ : فارتضي الشيخ ذلك (1)

قلت :

ما تقدم في الرد على يحي الرازي هو الرد هنا ونلاحظ أن طريقة النفاة هي هذه بعينها ، فلا يريدون أن يثبتوا لله استواءا يليق بجلاله ولا نزولا ولا مجيئا إلى غير ذلك من الصفات الثابتة في الكتاب والسنة .

1- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 105 .

وقد تقدم في بيان مذهب أهل السنة والجماعة من أقول السلف الصالح ما يكفي للرد على هؤلاء .

أضيف : أن الشيخ العفيفي وهذا شأنه في أغلب ما نقله لم يذكر من أين نقل هذه العقيدة ؟ ومن هو التلميذ ؟ ومن هو المعلم الذي اختبره ؟ وكيف نأخذ عقيدتنا من مجهولين في الهوية والعدالة ؟!

* * *

الفصل الثالث

شبهات الخلف في صفات أخري وموقف السلف منها

*** صفة الأصابع والقرب :**

قال الشيخ العفيفي **(1)** : (**أو يثبتون له أصابع بمقتضي قوله صلي الله عليه وسلم :** (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله) (**2**) **أو يثبتون له يمينا من نوع آخر لقول نبينا :** (الحجر الأسود يمين الله)

قلت :

قد دلت الأحاديث على إثبات الأصابع لله عز وجل كا يليق بجلاله وعظمته وبكيفية لانعلمها ليس كمثله شئ فيها .

وقد تقدم ذلك في حديث عبد الله بن مسعود الذي رواه البخاري وقائل ذلك هو رسول الله صلي الله عليه وسلم .

1- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص **105** .

2- أخرجه مسلم في كتاب القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب رقم (**2654**) والترمذي في كتاب القدر ، باب ما جاء أن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن برقم (**2226**) وابن ماجه في كتاب الدعاء ، باب فضل الدعاء برقم (**3834**) وأحمد في المسند ح **2** ص **168** ، **173** وفي مواضع أخري .

ويجب أن يفهم أن لفظة بين في قوله : (إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله) لا تقتضي المخالطة ولا المماسة والملاصقة لا لغة ولا عقلا ولا عرفا .

قال تعالى :

{ والسحاب المسخر بين السماء والأرض } [البقرة : **164**] وهو لا يلاصق السماء ولا الأرض .

أما حديث (الحجر الأسود يمين الله) فالراوية المشهورة فيه إن ثبتت عن ابن عباس رضي الله عنه :

(الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه) (**1**) .

قال شيخ الإسلام :

ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه إلا على من لم يتدبره فإنه قال : يمين الله في الأرض .

فقيده بقوله : في الأرض ولم يطلق فيقول :

1- ضعيف جدا وهو أثر عن عبد الله بن عباس أخرجه بن قتيبة في غريب الحديث عن إبراهيم بن يزيد عن عطاء عن بن عباس موقوف عليه ، واسناده ضعيف جدا لأن إبراهيم بن يزيد متروك .

انظر ترجمته في الميزان ح**1** ص**75** وانظر السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني

ح1 ص 257 ، 258 .

يمين الله وحكم اللفظ المقيد يخالف اللفظ المطلق .

ثم قال : فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه .

ومعلوم أن المشبه غير المشبه به ، وهذا صريح في أن المصافح لم يصافح يمين الله أصلا ولكن شبهه بمن يصافح الله .

فأول الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس من صفات الله كما هو معلوم عند كل عاقل .

ولكن يبين أن الله تعالى كما جعل للناس بيتا يطوفون به جعل لهم ما يستلمونه ، ليكون ذلك بمثابة تقبيل يد العظماء فإن ذلك تقريب وتكريم له كما جرت العادة .

والله ورسوله لا يتكلمون بما فيه إضلال الناس بل لا بد من أن يبين لهم ما يتقون فقد بين لهم في الحديث ما ينفي التمثيل (1) .

*** قال الشيح العفيفي :**

وليت شعري أيضا هل يثبتون له ما أخبر به في قوله تعالى :

{ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه } [النور : 39] .

وما أخبر به من أنه { أقرب إليه من حبل الوريد } [ق : 16]

وقوله في شأن المحتضر :

1- الفتاوي الكبري لابن تيمية ج 5 ص 397 .

{ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون } [الواقعة : 85] (1)

قلت : أما الآية الأولي وهي قوله تعالى : { والذين كفروا أعمالهم كسراب

بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه } [النور : 39] .

قال ابن كثير رحمه الله : في الذي يحسب السراب ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حصل شيئا ، فإذا وافي الله يوم القيامة وحاسبه عليها ونوقش على أفعاله لم يجد له شيئا بالكلية قد قبل .

إما لعدم الإخلاص .

وإما لعدم سلوك الشرع .

كما قال تعالى : { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءا منثورا } [الفرقان : 23] .

وقال ههنا :

{ ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب } [النور : 39]

قال ابن كثير : هكذا روي عن أبي بن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد (2) .

1- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 105 .

2- تفسير بن كثير ج 3 ص 296 .

هذا هو معني الأية كما فسرها السلف الصالح ولم يفهم أحد منهم أو من العقلاء أن الله بذاته في محل السراب كما فهم الشيخ العفيفي فأراد بذلك أن يوجد طريقا ومدخلا لهواه في فهم كتاب الله .

أما قوله تعالى :

{ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد } [ق : 16] .

وقوله : { ونحن أقرب إليه منكم } [الواقعة : 85] .

فالقرب فيهما :

* إما أن يكون على حقيقته باعتبار ما ورد عن ابن عباس حيث قال : (ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) فهذا قرب مطلق .

* أو يكون قرب الملائكة (1)

فأما الآية الأولي فإن القرب مقيد فيها بما يدل على قرب الملائكة حيث قال :

{ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذا يتلقي المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد } [ق : 16] .

ففي قوله { إذا يتلقي المتلقيان } دليل على أن المراد به قرب الملكين .

وأما الآية الثانية فإن القرب مقيد بحال الإحتضار والذي يحضر الميت عند

1–انظر مجموع الفتاوي ج 6 ص 19 .

موته هم الملائكة .

لقوله تعالى : { حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون } [الأنعام : 61] .

ثم إن في قوله : { وأنتم لا تبصرون } دليلا بينا على أنهم الملائكة ، إذ يدل على أن هذا القريب في نفس المكان ولكن لا نبصره .

فالمراد قرب الملائكة لأننا لا نري الله في وقت الاحتضار .

فإن قيل : فلماذا أضاف الله القرب إليه ؟ وهل جاء نحو هذا التعبير مرادا به الملائكة ؟

فالجواب : أن الله تعالى أضاف قرب ملائكته إليه لأن قربهم بأمره وهم جنوده ورسله وقد جاء نحو هذا التعبير مرادا به الملائكة كقوله تعالى :

{ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه } [القيامة : 18] فإن المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله ، مع أن الله تعالى أضاف القراءة إليه لكن لما كان جبريل يقرؤه على النبي صلي الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحت إضافة القراءة إليه تعالى .

وكذلك جاء في قوله تعالى : { ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط } [هود : 74] .

وإبراهيم إنما كان يجادل الملائكة وهم رسل الله (1) .

1- انظر كتاب القواعد المثلي للشيخ ابن عثيمين ص 65 : 66 .

وأما قوله صلي الله عليه وسلم عن الله في حق الجائع والمريض :

(أما إنك لو أطعمته لوجدتني عنده ولو عدته لوجدتني عنده) (1) .

فهذا النص صريح في أن الله لم يجع ولم يمرض ولكن مرض عبده وجاع عبده ، فجعل جوعه جوعه ومرضه مرضه مفسرا لذلك بأنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، فالله يجازيه على عوده للمريض ، وليس أن الله عز وجل بذاته عند المريض لأن هذا لا يخطر في قلب مسلم .

*** صفة النزول :**

* قال الشيح العفيفي : **(ثم نسأل عمن في السماء ؟ أي سماء هي ؟ هل الأولي أم الثانية أم السابعة .. إلخ والآية تقول :** { الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن } [الطلاق : 12] .

ثم نزوله كل ليلة حينما يحل الثلث الأخيرمن الليل ، والثلث الأخيرمن الليل يحل كل لحظة على بلد من البلدان ، فكيف نتصور معبودهم نازلا صاعدا مدة الأربع والعشرين ساعة كلها لأن الليل هنا قد يكون نهارا هناك (2) .

1- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب فضل عيادة المريض برقم (2569) وأحمد ح 5 ص 190 .

2- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص 106 .

قلت : أما عن كون الله تعالى في السماء فقد تقدم بيان ذلك .

وأما عن النزول :

فقد قال ابن القيم رحمه الله :

(إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة وهذا يدل على أنه صلي الله عليه وسلم كان يبلغه في كل موطن ومجمع) (1) .

ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال (2) :

(يترل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقي ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني

1- انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص 456 .

2-أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل برقم (6321) وفي موضعين آخرين من صحيحه وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين ، باب الدعاء آخر الليل رقم (758) وأبو داود فىكتاب الصلاة باب أي الليل أفضل رقم (1315) وفي كتاب السنة برقم (4733) والترمذي في كتاب الصلاة باب نزول الرب إلى السماء الدنيا برقم (446) وفي كتاب الدعوات برقم (3498) وابن ماجه في كتاب الإقامة ، باب أي ساعات الليل أفضل رقم (1366) وأحمد في المسند ح 2ص267 وفي مواضع أخري .

فأغفر له) .

والنزول والإنزال حقيقته مجئ الشئ أو الإتيان به من علو إلى أسفل وهذا هو المفهوم لغة وشرعا .

كقوله تعالى : { ونزلنا من السماء ماء مباركا } [ق : 9]

وقوله تعالى :{ نزل به الروح الأمين } [الشعراء : 193]

* وأما عن كيفية النزول والرد على الخلف في إنكارهم له فالأمر يتضح من خلال الوجوه الآتية :

[1- أن اعتقاد السلف في النزول كاعتقادهم في الاستواء فكما قالوا : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فكذلك القول في النزول : (النزول معلوم المعني غير معلوم الكيفية والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة) .

[2- أن الخلف ظنوا أن السماء الدنيا هي ما يري من اللون الأبيض الناتج من انعكاس ضوء الشمس على طبقة الغلاف الجوي وفي الحقيقة لا يعلم كيفية السماء الدنيا إلا الله .

قال تعالى : { ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين } [الملك : 5] .

وقال سبحانه : { إنا زينا السما ء الدنيا بزينة الكواكب } [الصافات : 6] .

فهذه الكواكب والنجوم التي لا يحصيها إلا الله قد عجز الإنسان في العصر الحديث أن يخرج من مجال المجموعة الشمسية التي لا تمثل شيئا في هذه النجوم .

ومن المعلوم أن بيننا وبين أقرب االكواكب من المجرات الأخري ملايين

الملايين من السنوات الضوئية في كون فسيح لا يعلم مداه ولا منتهاه إلا الله ، ورجل الفضاء كما هو معلوم الآن إذا خرج عن نطاق الأرض وصعد إلى السماء لا يري لونا أزرقا ول اأبيضا بل يري عماءا قاتما وسوادا مظلما .

فهؤلاء لما أرادوا أن يكيفوا السماء الدنيا ويكيفوا نزول الله إليها وقعوا في التمثيل والتعطيل بالتأويل الباطل وأنكروا نزول الخالق سبحانه وتعالى .

[3- أن نزول الخالق سبحانه ل ايعني أنه يتخلل في طبقات السماوات حتى يصل إلى السماء الدنيا كما كيفوه .

وهذا الفهم لا يرد بحال على ذهن واحد من أهل الحق لأنهم يعلمون أن الله لا يحيط به شئ من مخلوقاته وهو مستو على عرشه بائن من خلقه كما بينت النصوص .

وقد سبق قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه في بيان حقيقة الكون وعظمة الله سبحانه وتعالى :

(ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم) (1)

وقال تعالى : { وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤده حفظهما هو العلي العظيم } [البقرة : 255]

وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهراني فلاة من الأرض) (2) .

فالكرسي الذي وسع السماوات والأرض ذكر رسولنا صلي الله عليه وسلم أنه لا يمثل في ذاته بالنسبة لعرش الرحمن إلا كنسبة الحلقة الحديدية وسط الصحراء .

ولعل ذلك يظهر مدي الضخامة اللامتناهية لحجم الكون والعظمة التي خص الله بها العرش من بين المخلوقات من ناحية ومدي ضآلة الكون بالنسبة لله وقدرته من ناحية أخري ، فالسماوات والأرض لا تكاد تمثل ذرة في ذلك الإبداع الرباني .

[4- أن الزمان والمكان في عالم الشهادة يختلفان تماما عن الزمان والمكان في عالم الغيب ولابد للموحد من أن يثبت المباينة بينهما وإلا فهو ممثل

1- تقدم تخريجه انظر ص 134 .

2- تقدم تخريجه انظر ص 134 .

ومعطل للصفات الحقيقية في نفس الوقت .

ومن ثم فلا يلزم قولهم : الليل هنا نهار هناك أو الثلث الأخير يحل في كل لحظة على مدار خطوط الطول على سطح الأرض فالله سبحانه وتعالى نزوله معلوم وحقيقي له كيفية مجهولة لنا معلومة لديه والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

والرسول صلي الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على البيان وحسن العبارة التي لا توقع لبسا قد صرح بالنزول مضافا إلى الرب في جميع الأحاديث ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة .

فمن حاول رد هذه الأحاديث أو قال بأن النزول معنوي وليس حقيقيا فقد نسب إلى الرسول التقصير في بيانه وعلمه ونصحه .

قال أبو عبد الله الرباطي :

حضرت يوما مجلس الأمير عبد الله بن طاهر أمير خرسان وحضر اسحق بن راهوية .

فسئل عن حديث النزول أصحيح هو ؟

فقال : نعم .

فقيل له : يا أبا يعقوب أتزعم أن الله يتزل كل ليلة ؟

قال : نعم .

قال : كيف يتزل ؟

قال : أثبته فوق حتى أصف لك التزول (1) .

فقال له الرجل : أثبته فوق .

فقال له اسحاق : قال الله تعالى :

{ وجاء ربك والملك صفا صفا } [الفجر : 22] .

فقال الأمير عبد الله بن طاهر : هذا يوم القيامة .

فقال اسحاق :

أعز الله الأمير ومن يجئ يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟! (2) .

وفي رواية عند الترمذي قال :

سمعت اسحاق بن راهوية يقول : اجتمعت الجهمية إلى عبد الله بن طاهر يوما فقالوا له :

أيها الأمير إنك تقدم اسحاق وتكرمه وتعظمه وهو كافر يزعم أن الله عز وجل يتزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ويخلو منه العرش .

قال : فغضب عبد الله وبعث إلى فدخلت وسلمت فلم يرد على السلام غضبا ولم يستجلسني .

ثم رفع رأسه وقال لي : ويلك يا إسحاق ما يقول هؤلاء ؟

1- قال ذلك لأن القائل معتزلي ينفي علو الذات وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بالتزول فالتزول يكون من علو ، فأراد منه أن يثبت العلو أولا .

2- انظرشرح حديث النزول لابن تيمية ص 39 ، 40 .

قال : قلت لا أدري .

قال : تزعم أن الله سبحانه وتعالى يترل إلى السماء الدنيا في كل ليلة ولا يخلو منه العرش ؟

فقلت : أيها الأمير لست أنا قلته ، قاله النبي صلي الله عليه وسلم ، حدثنا أبو بكر بن عباس عن اسحاق عن الأغر بن مسلم أنه قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال :

(يترل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟) (1) .

ولكن مرهم يناظروني .

قال : فلما ذكرت له النبي صلي الله عليه وسلم سكن غضبه .

قال لي : اجلس فجلست .

فقلت : مرهم أيها الأمير يناظروني .

قال : ناظروه .

فقلت لهم : يستطيع أن يترل ولا يخلو منه العرش أم لا يستطيع ؟

قال : فسكتوا وأطرقوا رؤسهم .

فقلت : أيها الأمير مرهم يجيبوا ، فسكتوا .

1 - حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص 198 .

فقال : ويحك يا اسحاق ماذا سألتهم ؟

قلت : أيها الأمير قل لهم : يستطيع أن يترل ولا يخلو منه العرش أم لا ؟

قال : فإيش هذا ؟

قلت : إن زعموا أن الله لا يستطيع أن يترل إلا أن يخلو منه العرش فقد زعموا أن الله عاجز مثلي ومثلهم وقد كفروا .

وإن زعموا أنه يستطيع أن يترل ولا يخلو منه العرش فهو يترل إلى السماء الدنيا كيف شاء ولا يخلو منه المكان (1) .

*** صفة اليدين والعينين :**

قال الشيخ العفيفي :

(وليت شعري أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر فيثبتون له يدا بمقتضي قوله تعالى :

{ يد الله فوق أيديهم } [الفتح : **10**] **أم يدين بمقتضي قوله تعالى :** { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : **64**] **أم أيد عديدة بمقتضي قوله تعالى :** { أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها ملكون } [يس : **71**]) (2) .

قلت :

1- انظر المرجع السابق ص **49** .

2- انظر كتاب الشيخ العفيفي ص **103** .

* **أولا :** مذهب السلف الصالح في اليدين ليس فيه ما يحاول الخلف إثباته من التناقض بل هو الحق الذي اجتمعت عليه الأدلة الجلية .

فالشيخ العفيفي يحاول أن يجعل صفة اليدين شيئا معنويا لا حقيقة له كما هو مذهب المتكلمين ومتخفيا خلف ستار ما يسمي بالنصوص التي توهم التشبيه .

والحقيقة أن مذهب السلف االصالح هو عين الكمال والتتريه فمذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله لنفسه وما أثبته رسوله صلي الله عليه وسلم من أن لله تعالى يدين حقيقيتين هما من صفات ذاته ، ونثبتهما من غير تمثيل ولا

تكييف ولا تعطيل ولا تحريف .

وقد تنوعت الأدلة في كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم على إثبات اليدين لله وإثبات الأصابع لهما وإثبات القبض بهما وتثنيتهما فمن ذلك :

1- قول الله تعالى : { قال يا إبليس ما منعك أن تسجدا لما خلقت بيدي } [ص : **35**] وقد ترجم البخاري لهذه الآية بابا في كتاب التوحيد من صحيحه لأنها نص صريح في بيان مذهب أهل السنة ولا يقبل التأويل بحال من الأحوال .

2- وقال تعالى : { وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء } [المائدة : **64**] فالله لم ينكر على اليهود وصفهم له باليد ، وإنما أنكر عليهم وصف اليد بالغلول وهذه الآية من الأدلة الواضحة على إثبات يدين لله على الحقيقة ، والآيات في ذلك كثيرة .

3- وفي حديث الشفاعة المشهور الذي رواه البخاري قوله صلي الله عليه وسلم : (فيأتون آدم فيقولون : يا آدم أما تري الناس خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ) (**1**) .

فجعلوا خلق الله لآدم بيده ميزة له من بين الخلق فدل على أن اليد على ظاهرها كما يليق بجلال الله .

4- ومن الأحاديث الدالة على أن للّه يدين حقيقة ما رواه البخاري عن أبي هريرة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال :

(يد الله ملأي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار قال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده

1-أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب قول الله عز وجل : { ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه } برقم (**3340**) وفي مواضع أخري من صحيحه ، وأخرجه

مسلم في كتاب الإيمان ، باب أدني أهل الجنة مترلة فيها برقم (322) وأخرجه الترمذي في كتاب القيامة ، باب ما جاء في الشقاعة برقم (2434) وابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة برقم (4312) وأحمد في المسند ح 2ص425 ، ح 3 ص 116 ، 247 .

وقال : عرشه على الماء وبيده الأخري الميزان يخفض ويرفع) (1) .

4- كما أن اليد وصفت بأوصاف تدل على أنها حقيقية منها القبض وهو في اللغة : إمساك الشئ بجميع كف اليد فقبض اليد على الشئ جمعها له بعد تناوله (2) .

وفي الحديث : (إن الله يقبض يوم القيامة الأرض وتكون السماوات بيمينه ثم يقول : أنا الملك) (3) .

وقد وردت رواية أخري في صحيح الإمام مسلم فيها ذكر الشمال لله تعالى وإن كان لفظ الشمال فيه مقال .

فعن عبد الله بن عمر قال : (يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمني ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟

1-حديث صحيح تقدم تخريجه انظر ص 140 ومعني سحاء الليل والنهار أي كثيره السح وهو إنزال الخير ، ومعني لم يغض ما في يده : أي أن كثرة الإنفاق لم تنقص ما في يد الله من الخير .

2-المفردات للراغب ص 391 .

3- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد برقم (7412) ومسلم في كتاب

صفات المنافقين ، باب صفة يوم القيامة برقم (2787) ، (2788) وأبو داود في كتاب السنة ، باب في الرد على الجهمية برقم (4732) وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (198) والدارمي في كتاب الرقاق برقم (2799) وأحمد في المسند ح 2 ص 347 .

أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون ؟ المتكبرون ؟) (1) .

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على إثبات اليدين لله تعالى .

وأما ما ذكر في الحديث : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين) (2) .

فلا تعارض بينه وبين ذكر اليمين والشمال في الحديث السابق ، فقوله صلي الله عليه وسلم : (وكلتا يديه يمين) بالنسبة للكمال فإحدي يديه تبارك وتعالى فيها الفضل كما دل على ذلك قوله صلي الله عليه وسلم : (يد الله ملأي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار قال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده) الذي سبق .

1- الحديث أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار برقم (2788) وهو حديث صحيح بدون ذكر الشمال لانفراد عمر بن حمزة العمري بهذا اللفظ ، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل في التهذيب أن أحاديثه منكرة ، انظر ح 7 ص 384 وأورده النسائي في الضعفاء والمناكير ص470 وأقره الذهبي في الميزان ح 3 ص 192 .

2- أخرجه مسلم في كتاب الإمارة ، باب فضل الإمام العادل برقم (18) والنسائىفي كتاب آداب القضاة باب فضل الحاكم العادل برقم (195)

والبيهقي في الأسماء والصفات ص 237 والآجري في الشريعة ص322 .

والأخري فيها العدل لقوله صلي الله عليه وسلم : (وبيده الأخري الميزان يخفض ويرفع) .

ومعلوم أن الفضل يمن والعدل يمن ، وكلاهما كمال لله تعالى أما بالنسبة لتفاضل صفاته فالفضل أيمن من العدل ، فاليمين فيها الفضل والشمال فيها العدل .

5- ووصفت اليد أيضا بالأصابع التي تدل على أن اليد حقيقية وليست مجازية كما ادعي أهل التأويل الباطل ، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود :

(أن يهوديا جاء إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ : وما قدروا الله حق قدره)

وفي رواية : (فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا له (1))

*** ثانيا :**

قلت : إن أهل التأويل الذين أشار إليهم الشيخ العفيفي يؤولون اليدين

1- تقدم تخريجه انظر ص 169 .

إما بالقدرة أو النعمة تارة أو الخزائن تارة أخري فيقولون في قوله تعالى :

{ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي } [ص : 35] أي بنعمتي أو بقدرتي .

وقد أرادوا بذلك أن يجعلوها لا تدل على يدين حقيقيتين كما أراد الله من

الآية بل أرادوا أن يجعلوها شيئا معنويا ويخترعوا لها أي معني يوافق قواعدهم وأصولهم ولو كان ذلك باطلا ولا دليل عليه .

* والرد عليهم من هذه الوجوه :

1- أن هذا قول على الله بلا علم ولا قال به أحد من السلف .

2- أن تناقضهم يدل على بطلان قولهم لأنهم لو كانوا على الحق لاتفقوا على معني واحد .

3- أن الأصل عدم صرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل واضح .

4- أنه قد تنوعت النصوص من كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم على إثبات يدين لله تبارك وتعالى ووصفها بأوصاف تمنع تأويلها بالقدرة أو النعمة كما تقدم .

5- أن من لغة العرب استعمال الواحد في الجمع .

كقوله تعالى : { إن الإنسان لفي خسر } [العصر : 2] .

والجمع في الواحد : كقوله تعالى : { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم } [آل عمران : 173] .

والجمع في الإثنين : كقوله تعالى : { إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما } [التحريم : 4] .

ولكنها لم تستعمل الواحد في الإثنين فلا تقول عندي رجل وأنت تعني رجلين ، ولم تستعمل الإثنين في الواحد فلا تقول عندي رجلان وأنت تعني به جنس الرجال .

فلا يجوز تأويل اليدين بالقدرة لأن القدرة صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالإثنين عن الواحد ، ولا يجوز تأويل اليدين بالنعمة لأن نعم الله لا تحصي ولا تعد ، وعند ذلك فلا يجوز أن يعبر بالإثنين عن الجمع مما يبطل تأويل اليدين بالنعمة أو

القدرة .

وأما عن الآيات الثلاث التي أوردها الشيخ العفيفي فقد أمرنا الله برد المبهم إلى المحكم .

وقد أحكم الله ورسوله يدين حقيقتين فعلينا أن نرد الآيات إلى ما أحكم فالمحكم من الآيات الثلاث التي أوردها هو : قوله تعالى : { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : **64**] .

أما قوله تعالى : { أو لم يرو أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما } [يس : **71**] فالمقصود من الجمع التعظيم وهذا وارد في لغة العرب ، فلما قال في بداية الآية : خلقنا ، قال : أيدينا ولما قال : خلقت قال : بيدي .

وأما قوله تعالى : { يد الله فوق أيديهم } [الفتح : **10**] .

وقوله : { بيدك الخير } [آل عمران : **26**] .

وقوله : { وقالت اليهود يد الله مغلولة } [المائدة : **64**] .

فإطلاق اليد هنا من باب تسمية الشئ باسم سببه ، فقد تكون بمعني القدرة لأن القدرة هي تحرك اليد ، يقال : فلان له يد في كذا وكذا أي له قدرة ، ومن لوازم اليد للرحمن القوة والخير والسح .. الخ ولا يقال يد لمن ليس له يد (**1**) .

أما قوله تعالى : { بل يداه مبسوطتان } [المائدة : **64**] .

وقوله : { قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي } [ص : **35**] فلا يمكن أن تأول بالقدرة أو النعمة لأن تركيب السياق يمنع ذلك كما تقدم .

والجدولان التاليان فيهما بيان المعني المراد من استخدام اليد في التراكيب المختلفة عند العرب .

1- انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص **411** بتصرف .

1- النص فـي كلام ا لله كلغة عربية :

نوع التركيب في استعمال اليد	النص في كلام الله كلغة عربية	المعني المثبت والقاسم المشترك	إمكانية التأويل أوعدمه لغة
1- مفرد	{ ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك }	اثبات اليدين + وصف من أوصافها كالقدرة	يجوز تأويل اليد بالقوة أوالقدرة حسب االسياق
2- مثني	{ تبت يدا أبي لهب وتب }	اثبات اليدين فقط	لا يجوز

3- جمع	{ أم لهم أيد يبطشون بها }	اثبات اليدين + وصفها بالقوة	يجوز تأويل اليد بالقوة

2- النص فـي كلام ا لله الدال على اليدين :

نوع التركيب واستعماله	النص في كلام الله	المعني المثبت والقاسم المشترك	إمكانية التأويل أوعدمه
1 – مفرد	{ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ }	اثبات اليدين + وصفها بالقوة أو القدرة	يجوز تأويل اليد بالقوة أو القدرة + اثبات اليد الحقيقية
2 – مثني	{ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ}	اثبات يدين حقيقيتين لله لا نعلم كيفيتها	لا يجوز لأنها تدل على اثبات اليدين فقط
3 – جمع	{ أولم يروا أنا خلقنا لهم	اثبات اليدين + وصف اليدين	يجوز تأويل اليد بالعظمة أو القوة +

	مما عملت أيدينا أنعاما }	بالعظمة والقوة	اثبات اليد الحقيقية

*** أما قول الشيخ العفيفي :**

(**أويثبتون له عينا بمقتضي قوله تعالى :** { ولتصنع على عيني } **أما أعينا بمقتضي قوله تعالى :** { تجري بأعيننا } [القمر : **4**]) (**1**) .

ومحاولته أن يجعل النصوص تدل على أمور معنوية لا حقيقة لها ولا وجود ، أقول :

قد دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم صراحة وإجماع أهل العلم بالله والإيمان به على أن الله تعالى موصوف بأن له عينين حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته .

وقد جاء ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مفردة مضافة إلى ضمير المفرد ، كما جاءت مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع كما في هاتين الآيتين ، ولم يأت ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مثناه ولكن جاء ذلك في االسنة (**2**) .

قال ابن القيم :

ذكر العين مفردة لا يدل على أنها واحدة ليس إلا كقولك : أفعل هذا على عيني لا يريد أن له عينا واحدة ، ولما أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا أو مضمرا حسن جمعها مشاكلة للفظ :

1- انظركتاب حق الله على العباد ص **103** .

2- انظر كتاب شرح التوحيد من صحيح البخاري ص **281** .

كقوله تعالى : { تجري بأعيننا } [القمر : **4**] .

وقوله : { واصنع الفلك بأعيننا } [هود : **73**] .

وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد :

كقوله : { بيده الملك } [تبارك : 1] .

وقوله : { بيدك الخير } [آل عمران : 26] .

ولما أضيفت إلى ضمير الجمع جمعت : كقوله تعالى : { أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما } [يس : 71] (1) .

وقال ابن جرير في معني قوله تعالى : { ولتصنع على عيني } بمرأي مني ومحبة وإرادة ، وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد .

وقال ابن جرير في معني قوله تعالى :

{ تجري بأعيننا } [القمر : 4] .

{ واصنع الفلك بأعيننا } [هود : 37] : يقول جل ثناؤه تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأي منا ومنظر (2) .

ومن الأحاديث التي تثبت العينين لله كما يليق بجلاله ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر قال : (ذكر الدجال عند النبي صلي الله عليه وسلم

1 – انظر مختصر الصواعق المرسلة ص 24 .

2– انظر تفسير الطبري ج 6 ص 162 ، 163 .

فقال : إن الله لا يخفي عليكم ، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينيه ، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمني كأن عينه عنبة طافية) (1) .

ووجه دلالة الحديث في قوله صلي الله عليه وسلم : (إن الله ليس بأعور) فهذا يدل على أن لله عينين حقيقيتين كما يليق بجلاله دون تمثيل أوتكييف أو تشبيه ، وغير معنويتين دون تعطيل ، لأن العور فقد أحد العينين وذهاب نورها .

فهذه الصفات الخبرية يجب إثباتها لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله من غير مشابهة المخلوقين ، فكما أنه حي وحياته لا تشبه حياة المخلوقين ، فكذلك

وصف الله باليدين والعينين وغيرهما من الصفات نثبتها بالكيفية التي تليق بجلاله كما أثبتها الله ورسوله صلي الله عليه وسلم مع اعتقادنا أنه سبحانه ليس كمثله شئ في ذاته ولا صفاته .

1- أخرجه البخاري في كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال برقم (7127) وفي مواضع أخري من صحيحه ، ورواه مسلم في كتاب الفتن ، باب ذكر االدجال برقم (2930) وأبو داود في كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال برقم (4320) والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في علامة الدجال برقم (2235) وأحمد غي المسند ح 2 ص 27 .

*** صفة الكلام :**

قال الشيخ العفيفي :

(ليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكون ولا وصل ولا فصل لأن هذا كله من صفات الحوادث) (1)

قلت :

لقد سلك الشيخ العفيفي بقوله ذلك طريقة الخلف في إثباته لصفة الكلام ولازمها أن الله تعالى لا يتكلم بصوت يسمع ، وإنما كلامه معني واحد وإشارات مجملة يفهمه جبريل ثم يعبر عنه بلغة الرسل .

فإذا عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا .

فكلام الله سبحانه عندهم ليس فيه أمر ولا نهي ولا خبر ولا استخبار ، بل هو معني واحد فهمه جبريل ولم يسمعه ثم فصله بطريقته الخاصة إلى الأمر والنهي

والخبر والاستخبار وعبر عن ذلك باللغات المناسبة .

والذي دفعهم إلى ذلك كما سبق هو قياس كلام الخالق وصفاته على كلام المخلوق وصفاته وصورة القياس :

1 انظر كتاب حق الله على العباد ص 92 : 109 .

أن المخلوق إذا تكلم فكلامه مكون من حروف وأصوات وموصوف بالجهر والسر والتقديم والتأخير والوقف والسكوت والوصل والفصل وغير ذلك ، وكل ذلك لا يكون إلا بجارحه بها محل مخارج الحروف التي يصدر منها الكلام ، والخالق إذا تكلم بكلام مسموع يفهمه البشر فإن كلامه سيكون حتما بلسان وفم قياسا على المخلوق .

من أجل ذلك عددوا القيود والشروط السلبية حتى يثبتوا لله صفة الكلام على مضض .

فقالوا ليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل لأن هذا كله من صفات الحوادث .

ولو أن الله أثبت لنفسه الكلام صراحة لقالوا إن الله لا يتكلم صراحة ، وقد تقدم أن أحد أسلاف الشيخ العفيفي من المعتزلة حاول أن يحرف آية في كتاب الله حتى ينفي صفة الكلام كما هو مذهبهم فقال لأبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة : أريدك أن تقرأ :

{ وكلم الله موسي تكليما } [النساء : 164] .

بنصب لفظ الجلالة بدلا من الرفع ليكون موسي عليه السلام هو المتكلم والله هو المستمع ، فقال أبو عمرو : هب أني قرأت الآية كما تريد فكيف تصنع

بقوله تعالى :

{ ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه } [الأعراف : 143] .

فبهت المعتزلي (1) لأن الآية صريحة في إثبات صفة الكلام لله .

فحقيقة مذهب الشيخ العفيفي ومن سبقه في صفة الكلام ، والذي تأباه الفطرة ويقبحه العقل أنهم شبهوا الله بالأخرس الأبكم الذي يعبر عن مراده الداخلي بإشارات يفهم منها المعني المقصود لعدم قدرته على الكلام .

فهم فروا من التشبيه حسب زعمهم بتعطيل ما يجب إثباته لله تعالى إلى أشد أنواع التشبيه قبحا ونقصا حيث شبهوا الله بالأبكم ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

* وبناء على مذهبهم نستخرج اللوازم الباطلة الآتية :

1- يلزمهم أن الله لم يتكلم بهذا الكلام العربي ولا سمع منه وإنما فهم جبريل معناه من الله ثم عبر عنه لمحمد صلي الله عليه وسلم بهذا النظم فالقرآن إذا من تأليف جبريل .

2- يلزمهم أن الذي جاء به رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس كلام الله على الحقيقة ولكن عن سبيل المجاز .

3- يلزمهم أن نفس التوراة هي نفس القرآن هي نفس الإنجيل والزبور والاختلاف في التأويلات فقط .

4- أنه لا فرق بين الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، لأن ذلك كله معني واحد .

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 122 .

5- يلزمهم أن الله لا يتكلم إلا بالقيود التي وضعوها له سبحانه وتعالى لأنهم لا

يفهمون الكلام إلا بقياسه على كلام المخلوق .

6- أنهم ينفون كلام الله الحقيقي الثابت في الأخبار الصحيحة لأنها دلت على أن الله يتكلم بالكيفية التي لا يرغبون فيها وهذا باطل .

*** اعتقاد السلف الصالح في صفة الكلام :**

*** أولا :**

أن الله يتكلم بالكيفية التي تليق بجلاله فهو سبحانه :

{ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير } [الشوري : **11**] .

ولا يلزم من إثبات صفة الكلام التشبيه والتجسيم كما هو اعتقاد المتكلمين بل أخبرنا الله تبارك وتعالى أن بعض المخلوقات تتكلم بدون جارحة تخرج الحروف .

قال تعالى : { اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون } [يس : **65**] فنحن نؤمن أنها تتكلم ولا نعلم كيف تتكلم .

وقال أيضا : { وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ } [فصلت : **21**] .

وقال عبد الله بن مسعود : (فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلي الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح

الطعام وهو يؤكل) (**1**)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة أو رجل : يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا ، قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلي الله عليه وسلم فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يسكن .

قال جابر : كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها) (2) .

وفي رواية (3) : (فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى

1- رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (3579) والترمذي في كتاب المناقب برقم (3633) والدارمي في المقدمة برقم (29) وأحمد في المسند ح 1 ص 396 ، ح 1 ص460 .

2- رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (3584) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها برقم (1417) والدارمي في كتاب الصلاة رقم (1562) وأحمد في المسند ح 3 ص 293 .

3- رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام برقم (3585) ومسلم في كتاب الإيمان برقم (144) والترمذي كتاب الفتن برقم (2258) وابن ماجه في كتاب تعبير الرؤيا برقم (3955) وأحمد ح 5 ص 386 وفي مواضع أخري .

جاء النبي فوضع يده عليها فسكتت) .

فالأيدي والأرجل والجلود والطعام والجذع كل ذلك يتكلم بلا فم يخرج منه الصوت المعتمد على مقاطع الحروف ، فأصل قياس الخالق على المخلوق قياس فاسد لا يجوز .

* ثانيا :

أن صفة الكلام صفة ذات وصفة فعل :

[أ] – وكونه من صفات الذات لأنه من لوازم الكمال وضده من أوصاف النقص والله سبحانه له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته .

ولهذا ذم الله بني إسرائيل لاتخاذهم عجلا لايتكلم إلها من دون الله قال تعالى

عنهم :

{ واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا } [الأعراف : **148**] .

وقال أيضا عن العجل : { أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا } [طه : **89**] .

فعجْز العجل عن مخاطبتهم ونفْي الكلام عنه من صفات النقص التي يستدل بها على عدم ألوهيته .

[ب] – وأما كونه من صفات الأفعال فلأن الله أخبرنا أنه يتكلم بمشيئته وإرادته ، قال تعالى : { إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون } [النحل : **40**] .

وقال سبحانه :

{ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } [يس : **82**] .

وكذلك قوله تعالى :

{ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها } [الإسراء : **16**] .

وسواء كان الأمر ها هنا أمر تكويني أو أمر تشريعي فهو موجود بعد أن لم يكن بقوله تعالى له كن .

وكذلك قوله تعالى : { ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم } [الأعراف : **11**] وإنما قال لهم اسجدوا بعد خلق آدم وتصويره .

وكذلك قوله تعالى : { ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني } [الأعراف : **143**] .

والآيات والأحاديث التي لا حصر لها تدل على أن الله يتكلم متي شاء وإذا شاء وكيف شاء .

قال العلامة ابن القيم بعد أن أورد الأدلة على صفة الكلام :

وهناك أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دفعت دفعت الرسالة بأجمعها وإن كانت مجازا كان الوحي كله مجازا وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره .

فإن مجئ هذه النصوص في الكتاب وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر وأوضح من كل واضح (1) .

*** ثالثا :**

أنه سبحانه يتكلم بصوت يسمع سمعه جبريل من الله وسمعه موسي عليه السلام وسمعه محمد صلي الله عليه وسلم والأدلة على ذلك كثيرة منها :

1- قوله تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات } [البقرة : 253] .

2 – وقال تعالى :

{ هل أتاك حديث موسي إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوي إذهب إلى فرعون إنه طغي } [النازعات 12 : 17] .

3 – وقال تعالى :

{ حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا لحق وهو العلي الكبير } [سبأ : 23] .

4 – وفي الحديث :

(إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادي جبريل : إن الله قد أحب

فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول

1- انظر مختصر الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن القيم ص 518

في الأرض) (1) .

5 – وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) (2) .

6 – وعن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول :

1- رواه البخاري في كتاب بدأ الخلق ، باب ذكر الملائكة رقم (3209) وفي كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة رقم (7485) ومسلم في كتاب البر والصلة والأدب ، باب إذا أحب الله عبدا حببه إلى عباده رقم (157) ومالك في كتاب الشعر ، باب ماجاء في المتحابين في الله برقم (15) والترمذي في كتاب التفسير رقم (3161) .

2- رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (7512) وفي مواضع أخري من صحيحه ومسلم في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة برقم 67 والترمذي في كتاب القيامة ، باب في القيامة رقم (2415) والنسائي في كتاب الزكاة ، باب القليل من الصدقة برقم (2553) وابن ماجه في المقدمة باب فيما

أنكرت الجهمية رقم (185) والدرامي في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة برقم (1664) وأحمد ح 4 ص256 ، 377 .

(يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان) (1)

ولو تتبعنا الأدلة وحصرناها لخرجنا عن المراد ولاحتاج الأمر إلى مجلد بأكمله أو أكثر من ذلك .

والمراد أن الأدلة تواترت على أنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما شاء وكيف شاء ، وأن كلامه يسمع وأن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه حقا لا تأليف ملك ولا بشر وأنه سبحانه الذي قال بنفسه :

{ المص } [الأعراف : 1] .

{ حم عسق } [الشوري : 1 ، 2] .

{ كهيعص } [مريم : 1] .

وأن القرآن بجميع حروفه ومعانيه نفس كلامه الذي تكلم به وليس ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبريل أو محمد صلي الله عليه وسلم عما قام بالرب من المعني من غير أن يتكلم الله بها

1- أخرجه البخاري في صحيحه معلقا في كتاب العلم ، باب الخروج في طلب العلم ح 1 ص210 وأحمد في المسند ح 3 ص495 وابن أبي عاصم في السنة ص 514 والحاكم في المستدرك ح 4 ص 574 وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

*** قولهم من أخذ علمه من العبارات ضل ضلالا بعيدا :**

قال الشيخ العفيفي نقلا عن الغزإلى :

(من أخذ علمه من العبارات والألفاظ ضل ضلالا بعيدا ومن رجع إلى العقل استقام أمره وصلح دينه) (1)

قلت : إن أبشع ما ورد في كتاب الشيخ العفيفي هو هذا القول لأن منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة هو التمسك بما دلت عليه ألفاظ الكتاب والسنة بجميع أنواع الدلالات التي جعلت في كلام ذوي العقول السليمة وهي :

1- دلالة المطابقة .

2- دلالة التضمن .

3- دلالة اللزوم .

فكيف يزعم الخلف أن عبارات الكتاب والسنة لا يؤخذ منها علم وأن من أخذ منهما علمه فقد ضل ضلالا بعيدا .

فهل يكون السلف الصالح كالأئمة الأربعة وغيرهم على ضلال بعيد لأنهم أثبتوا استواء الله على عرشه كما أراد سبحانه ؟

قال الأوزاعي :

كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله عز وجل فوق عرشه ونؤمن بما

1- انظر كتاب حق الله على العباد وحق العباد على الله ص 104 .

وردت به السنة من صفاته (1) .

وكلام السلف في التمسك بالكتاب والسنة في باب الصفات على وجه الخصوص لا يكاد يحصي ، وقد ذكرنا منه في الباب الأول ما يغني عن إعادته ، ولكنا نشير إلى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان مذهب السلف الصالح حيث يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله صلي الله عليه وسلم ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد (2) .

قلت :

فهل هؤلاء جميعا قد ضلوا ضلالا بعيدا لأنهم أخذوا علمهم في توحيد الصفات من عبارات الكتاب والسنة ؟! وكيف يكون تقديم العقل على الكتاب والسنة سبب في الصلاح والإستقامة ؟!

فمن المعلوم لدي كل مسلم عاقل أن الرسول صلي الله عليه وسلم معصوم في خبره عن الله تعالى لا يجوز عليه الخطأ ، فيجب التسليم له والانقياد

1- انظرالفتوي الحموية ص 23 .

2-انظر السابق ص 16 .

لأمره ولا تجوز مخالفته .

ذلك لأن أمر الإيمان بالله واليوم الآخر إما أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم تكلم فيه بما يدل على الحق أم لا ؟ فإن كان الثاني فباطل ، وإن كان قد تكلم بما يدل على الحق بألفاظ مجملة محتملة فما بلغ البلاغ المبين .

وقد قال الله تعالى في كتابه :

{ فهل على الرسول إلا البلاغ المبين } [النحل : 35] .

وقال سبحانه :

{ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين } [المائدة : 15] .

وقال تعالى :

{ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } [المائدة : 67] .

هذا وقد شهد له خير القرون بالبلاغ وأشهد عليهم في الموقف الأعظم فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين كما هو مفهوم من عبارة الغزإلى التي نقلها عنه الشيخ العفيفي فقد افتري على رسول الله صلي الله عليه وسلم .

فما موقف من ترك طريق الحق وسلك طريق الهوي إلا كما قال الله تبارك وتعالى : { إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي } [النجم : 37] .

قلت : وأما زعمهم أن من رجع إلى العقل وترك عبارات الكتاب والسنة

استقام أمره وصلح دينه فيبطله عودة أسلافهم الذين اتبعوا هذه النصيحة من قبل ، فقد عدلوا عن كتاب الله وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم إلى ما تقرره عقولهم وإلى علم الكلام المذموم ومنهم من أراد أن يجمع بين الكتاب والسنة وعند التعارض يتأول النص ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك وكثير منهم تاب قبل موته وعاد إلى الحق .

1- فقد ذكر أبو عبد الله الرازي في غير موضع من كتبه أن هذا العلم أشرف العلوم وأنه ثلاثة مقامات : العلم بالذات والصفات والأفعال وعلي كل مقام عقدة ، فعلم الذات عليه عقدة : هل الوجود هو الماهية أو زائد على الماهية ؟ وعلم الصفات عليه عقده : هل الصفات زائدة على الذات أم لا ؟ وعلم الأفعال عليه عقدة : هل الفعل مقارن للذات أومتأخر عنها ؟ ثم قال : ومن الذي وصل إلى هذا الباب أو ذاق من هذا الشراب ؟ ثم أنشد الأبيات السابقة وأعلن عودته إلى مذهب السلف وتوبته مما سلف قائلا : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي (1) .

2- وكذلك قال الشهرستاني :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

1- انظر ص **57** .

فلم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلاالحيرة والندم .

3- قال أبو المعإلى الجويني :

يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به ، وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي .

4- أما الغزإلى صاحب القول المذكور فهو مع فرط ذكائه ومعرفته بالكلام والفلسفة وسلوكه طريق الزهد والتصوف ينتهي في هذه المسائل إلى الوقف ويحيل آخر أمره على طريقة الصوفية ، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحديث ومات وهو يشتغل بحديث البخاري (**1**) .

فهذا شأن من أخذ بما ينصح به الشيخ العفيفي أو ترك كتاب الله وسنة رسوله إلى ما يراه العقل والنظر .

5- ونعقب بقول الإمام الشافعي وحكمه في أهل الكلام حيث يقول رحمه الله : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال

1- انظر في هذه الأقوال موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ج **1** ص **131** وما بعدها .

ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

وقال أيضا : (لقد اطلعت من أهل الكلام على شئ ما ظننت مسلما يقوله ولأن يبتلي العبد بكل ما نهي الله عنه ما خلا الشرك بالله خير له أن يبتلي بالكلام) (1) .

* * *

1- انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 169 .

الخاتمة

وفيها قواعد جامعة لفهم توحيد الصفات

قواعد جامعة فـي فهم الطريقة السلفية

بعد ذكر الأمور التي اتبع فيها الشيخ العفيفي طريقة الخلف في التأويل الباطل للصفات الثابتة في حق الله وبيان طريقة السلف في الرد عليها يحسن أن نلخص الاعتقاد السلفي في مجموعة من القواعد التي وضعت لفهم وحفظ المنهج الإسلامي الصحيح في هذا الباب .

وتلك القواعد مستخلصة من رسالتين لشيخ الإسلام ابن تيمية وهما الرسالة

التدمرية والفتوي الحموية ومن أراد المزيد فعليه بهما وبما ورد في كتبه الأخري .

القاعدة الأولي :

يجب الإيمان بما جاء في الوحي سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه

يجب الإيمان بما أخبر به الرسول صلي الله عليه وسلم عن ربه سواء عرفنا معناه أو لم نعرفه ، لأنه الصادق المصدوق فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه .

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها مع أن باب الأسماء والصفات يوجد عامته منصوصا في الكتاب والسنة متفق عليه بين سلف الأمة .

وما تنازع فيه المتأخرون نفيا وإثباتا فلس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدا على إثبات لفظه أو نفيه حتى يعرف مراده فإن أراد حقا قبل وإن أراد باطلا رد وإن اشتمل على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه بل يوقف اللفظ ويفسر المعني .

وقد تقدم مثال لذلك عند نفي الشيخ العفيفي للجهة وتقدم الرد عليه والاستفصال فيه .

القاعدة الثانية :

طريقة السلف في الصفات هي النفي المجمل والإثبات المفصل

فنفي الله عن نفسه كل صفات النقص إجمالا لا تفصيلا فقال سبحانه وتعالى في النفي :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : 11] .

{ ولا يحيطون به علما } [طه : 110] .

{ هل تعلم له سميا } [مريم : 65] .

{ ولم يكن له كفوا أحد } [الإخلاص : 4] .

وقد أثبت الله لنفسه صفات الكمال تفصيلا فقال تعالى :

{ الرحمن على العرش استوي } [طه : 5] .

{ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }

[فاطر : 10] .

{ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسني يسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم } [آخر الحشر] .

{ وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد } [البروج : 14 ، 15 ، 16] .

{ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوي على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير } [الحديد : 3 ، 4] .

وغير ذلك من الآيات التي عدد الله فيها أسماءه وصفاته مثبتا لها ولكمالها وجلالها ومفصلا في ذلك .

وطريقة السلف في الإثبات والنفي عكس طريقة الخلف تماما فإنهم يجملون في الإثبات ويفصلون في النفي .

* فمثال الإجمال في الإثبات عندهم :

1- ما فعلته المعتزلة حين أثبتوا أسماء الله مفرغة من الأوصاف فتعود الأسماء

جميعها إلى اسم واحد عند التحقيق ولا قيمة عند ذلك لتعدادها أو الدعاء بها .

وهذا يعكس تماما ما قاله سبحانه وتعالى يحثنا على التوسل والدعاء بها : { ولله الأسماء الحسني فادعوه بها } [الأعراف : **180**] .

كما أن ذلك يجعل الله لا صفة له عندهم وهذا منكر من القول عظيم يدرك خطورته من تحقق فيه .

2- ما فعلته الأشاعرة وهو قريب من فعل المعتزلة السابق حيث أن جملة ما أثبتوه أنهم أثبتوا الأسماء على نفس وتيرة المعتزلة السابقة ، ولكنهم أثبتوا مع ذلك سبع صفات فقط وعلي مضض .

* ومثال التفصيل في النفي عندهم :

قول الخلف من المعتزلة والأشعرية :

ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ولالحم ولا دم ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولاعمق ولا شخص ولاجوهر ولاعرض .

لا اجتماع له ولا افتراق لا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد ليس بذي أبعاض ولاأجزاء ولاجوارح ولاأعضاء وليس بذي جهات ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا فوق ولا تحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ولاولاولا .. إلى غير ذلك مما يملأ صفحات متعددة .

وكل ذلك يغني عنه الإجمال في النفي الوارد في قوله تعالى :

{ ليس كمثله شئ } [الشوري : **11**] .

{ ولم يكن له كفوا أحد } [الإخلاص : **4**] .

فإن الله نفي عن نفسه كل أنواع النقص جملة واحدة وفي كلمة واحدة وقد

سبق الرد على الشيخ العفيفي عندما أورد من هذا النوع اعتقاده في صفة الكلام فقال :

ليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ولا يوصف بجهر ولاسر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكون ولا وصل ولافصل لأن هذا كله من صفات الحوادث .

ومما ينبغي أن يعلم أن طريقة الخلف في الحقيقة هي طريقة للذم لا للمدح فالنفوس مفطورة على أن تمدح بالإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات وليس العكس فتدبر !!

القاعدة الثالثة :

طريقة السلف في النفي المتضمن لكمال الضد

ومما ينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا .

* فقوله تعالى : { لا تأخذه سنة ولا نوم } [البقرة : **255**] .

فيه نفي للسنة والنوم يتضمن كمال الضد وهو إثبات الكمال في حياته سبحانه وقيوميته .

* قوله تعالى : { ولا يظلم ربك أحدا } [الكهف : **49**] فيه نفي الظلم المتضمن لكمال االضد وهوإثبات كمال العدل .

* وقوله تعالى : { وتوكل على الحي الذي لا يموت } [الفرقان : **58**] فيه نفي الموت الذي يتضمن كمال الضد وهو إثبات كمال الحياة لله سبحانه وتعالى .

* وقوله تعالى : { عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض } [سبأ : **3**] فيه نفي العزوب المستلزم لعلمه بكل ذرة في السماوات

وفي الأرض .

* وقوله تعالى : { وما كان الله ليعجزه من شئ في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا } [فاطر : 44] فيه نفي العجز المتضمن كمال الضد وهو إثبات كمال العلم والقدرة .

إذا تأملت ذلك وجدت أن كل نفي لا يستلزم ثبوتا لم يصف الله به نفسه أما الخلف فنفيهم نفي مجرد عن اثبات الكمال .

فإذا قالوا : ليس بجسم وتساءل العاقلاء ؟

فماذا يكون إذا لم يكن جسما ؟

هل يكون عرضا ؟

قالوا : ولا عرضا .

فماذا يكون إذا لم يكن عرضا ؟

هل يكون شبحا ؟

قالوا : ولا شبحا .

هل يكون داخل العالم ؟

قالوا : ولا داخل العالم .

إذا هو خارجه ؟

قالوا : ولا خارجه .

إلى غير ذلك من سفسطة القول فإن هذا ليس فيه صفة مدح بل هو ذم ونقص لله بما يشبه المدح تعالى الله عن ذلك .

ومعلوم أن قول القائل يصف أحد القبائل :

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة : ولا يظلمون الناس حبة خردل

ووصفه لهم بعدم الغدر والظلم، فإنه لا يمدحهم بالوفاء والعدل ولا بكمالهم في

الصفات البشرية ، وإنما يذمهم بذلك لأن النفي مجرد من إثبات كمال الضد .

فعدم الغدر والظلم سببه العجز وعدم قدرتهم على الظلم أو الغدر وليس سببه الوفاء والعدل فهو ذم بما يشبه المدح ، وتلك هي طريقة الخلف في باب الأسماء والصفات .

القاعدة الرابعة :

التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل

قد يتوهم كثير من الناس في بعض الصفات أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ، ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير :

1-كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

2-أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقي مع جنايته على النصوص وظنه السئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل يبقي وقد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

3-أنه ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب .

4-أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعلومات فيكون قد عطل صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات ، وجعل

مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع بين التعطيل والتكييف والتمثيل فيكون ملحدا في أسماء الله وآياته .

القاعدة الخامسة :

ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك وقدر فارق فمن نفي القدر الفارق فقد مثل ومن نفي القدر المشترك فقد عطل

فالنافي للصفات إن اعتمد فيما ينفيه على أنه تشبيه قيل له :

إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل .

وإن أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له في الإسم فإن هذا هو الحق الذي يلزم في سائر الصفات .

فالله تبارك وتعالى موجود والمخلوق موجود ولكن وجود الله ليس كوجود المخلوق واتفاقهما في الإسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمي ذلك الإسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد ولا في غيره .

فلا يقول عاقلا إذا قيل أن العرش شئ موجود والبعوض شئ موجود أن هذا مثل ذاك لاتفاقهما في اسم الشئ الموجود .

ولهذا سمي الله نفسه بأسماء وسمي صفاته بأسماء ، وكانت تلك الأسماء مختصة به إذا أضيفت إليه لا يشاركه فيها غيره وسمي بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسماء إذا قطعت عن الإضافة والتخصيص ، ولم يلزم من اتفاق الإسمين تماثل مسماهما واتحاده واتفاقهما عند الإطلاق والتجرد عن الإضافة والتخصيص .

وقد بينت ذلك بالتفصيل في كتابي القواعد السلفية في الصفات الربانية في جداول بيانية متعددة .

القاعدة السادسة :

القول في الصفات كالقول في الذات

فإن الله ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإنه يقال للمؤول النافي لصفات الله عز وجل : أتؤمن أن لله ذاتا تليق بجلاله ؟

فلا بد من نعم .

فكذلك له صفات تليق بجلاله ، فإذا كان الله له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فكذلك الذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات .

فإذا قال السائل : كيف استوي على العرش ؟

قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما :

الاستواء معلوم المعني مجهول الكيف والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه لقوله تعالى :

{ ولايحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء } [البقرة : 255] .

وكذلك إذا قال : كيف يترل ربنا إلى السماء الدنيا ؟

قيل له : كيف هو ؟

فإذا قال : لا أعلم كيفيته .

قيل له : ونحن لا نعلم نزوله إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفة الموصوف وهو فرع منه وتابع له

فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفة ذاته ؟

القاعدة السابعة :

القول في الصفات كالقول في بعض

فلا يجوز أن نقر ببعض الصفات وننفي البعض كما فعل الخلف من الأشعرية حيث أثبتوا سبع صفات لله تعالى وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام النفسي ، ونفوا الاستواء بالتأويل الباطل .

فالله كما أخبر أن له سمعا وبصرا وعلما وقدرة وحياة أخبر أن له استواءا ونزولا ويدا وقدما وساقا إلى غير ذلك من الصفات الخبرية ، فالقول في الصفات كالقول في بعض .

القاعدة الثامنة :

مذهب السلف وسط بين التمثيل والتعطيل

مذهب السلف مذهب الاعتدال فهو وسط بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لايمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسني وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته فهم وسط بين التمثيل والتعطيل .

القاعدة التاسعة :

كل ممثل معطل وكل معطل ممثل

كل واحد من فريقي التمثيل والتعطيل فهو جامع بين التمثيل والتعطيل .

* أما الممثل فقد عطل الصفة الحقيقية تحت ستار التمثيل ففي قوله : استواء الله كاستوائي أو كأي استواء تعطيل للصفة الحقيقية التي عليها استواء الحق سبحانه وتعالى ، حيث منع ظهورها على الوجه الحقيقي بالقول الباطل الذي رفعه .

* أما المعطلون فلأنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق فقالوا : لو كان على العرش لكان محمولا ثم شرعوا في نفي تلك الصفة التي اعتقدوها وتعطيلها فجمعوا بين التعطيل والتمثيل :

مثلوا أولا

وعطلوا آخرا .

وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسماء الله وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاقم .

القاعدة العاشرة :

الممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما

فالممثل جسد صورة لربه نحتها من خياله وزعم أها حقيقة ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ثم عبدها من دون الله فهو في الحقيقه يعبد صنما .

أما المعطل فلأن اعتقاد مبني على النفي المحض المفرغ من الاثبات والتنكر لمعظم الصفات ، فهو لا يثبت شيئا كما تقدم كان كالذي لا يعبد إلا العدم المحض .

المثلان المضروبان

من الأمور التي توضح هذا الباب وتجليه المثلان اللذان ضربهما شيخ الإسلام ابن تيمية :

* المثل الأول : مثل الجنة

أن الله سبحانه وتعالى أخبر عما في الجنة من المخلوقات من المطاعم والملابس والمناكح والمساكن ، فأخبر أن فيها لبنا وعسلا وخمرا ولحما وماءا وحريرا وذهبا وفضة وفاكهة وقصورا ، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (ليس في الدنيا شئ مما في الجنة إلا الأسماء)

وإذا كانت تلك الحقائق التي أخبر الله عنها هي موافقة في الأسماء للحقائق التي في الدنيا وليست مماثلة لها بل بينهما من التباين ما لا يعلمه إلا الله تعالى

فالخالق سبحانه وتعالى أعظم مباينة للمخلوقات من مباينة المخلوق للمخلوق ومباينة لمخلوقاته أعظم من مباينة موجود الآخرة لموجود الدنيا إذ المخلوق أقرب إلى المخلوق الموافق له في الاسم من الخالق إلى المخلوق وهذا بين واضح .

* المثل الثاني : مثل الروح

وهو أن الروح التي فينا موجودة حية عالمة قادرة سميعة بصيرة تصعد وتنزل وتذهب وتجئ ونحو ذلك من الصفات ، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديدها وهم مضطربون فيها لأنهم لم يشاهدوها أو يشاهدوا لها نظيرا والشئ إنما تدرك حقيقته بمشاهدته أو مشاهدة نظيره .

فإذا كانت الروح متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها لما يشاهد من المخلوقات فالخالق أولي بمباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحقه من أسمائه وصفاته .

وأهل العقول هم أعجز من أن يحدوه أو يكيفوه منهم عن أن يحدوا الروح أو يكيفوها .

فإذا كان من نفي صفات الروح جاحدا معطلا لها ، وكان من مثلها بما نشاهده من المخلوقات جاهلا ممثلا لها بغير شكلها ، وهي مع ذلك ثابتة في الحقيقة مستحقة لما لها من الصفات .

فالخالق سبحانه وتعالى أولي أن يكون من نفي صفاته جاحدا معطلا ومن قاسه بخلقه جاهلا به ممثلا وهو سبحانه وتعالى له حقائق الإثبات ومستحق كماله من الأسماء والصفات .

انتهي ولله الحمد والمنة

* * *

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
2	البقرة	هو الذي خلق لكم	29	96	13
		ومنهم أميون	78	27	9
			85	182	16
		أفتؤمنون ببعض	150	180	8
		فول وجهك شطر	164 210	192	4
		والسحاب المسخر	213 253	72	6
			255	11	14
		هل ينظرون إلا تأويله .		226	6
		كان الناس أمة	255	134	8
		تلك الرسل	255	201	3
				153	2
		وسع كرسيه		176	9
			255	245	5
		وهو العلي العظيم	5	240	10
			7	173	12
		ولا يحيطون بشئ من .	7	70	8
			7	70	15
		لاتأخذه سنة	7	75	17
				76	11
3	آل عمران	إن الله لا يخفي عليه شئ			
		هو الذي أنزل عليك ..			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
3	آل عمران		7	75	17
			7	76	11
			7	78	5
			7	86	13
			7	86	16
			7	92	3
			7	92	6
			26	212	18
			55 173	152	12
		بيدك الخير.............	59	211	17
			65	11	18
		إني متوفيك ورافعك ..	82 126	12	3
		الذين قال لهم الناس	126 158	7	3
4	النساء	فإن تنازعتم في	164 164	88	6
			3	147	6
		فلا وربك لايؤمنون		152	10

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		أفلا يتدبرون القرآن		29	14
		وكان الله بكل شئ محيطا		220	15
				82	16
		بل رفعه الله إليه ..			
		وكلم الله موسي ..			
5	المائدة	اليوم أكملت لكم دينكم			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
5	المائدة	قد جاءكم من الله نور	15	112	16
			15	231	8
			64	54	2
		بل يداه مبسوطتان ..	64	54	6
			64	59	6
			64	205	13
			64	206	18
			64	212	12
			67	213	11
			3	163	1
			3	167	8
		يا أيها الرسول	3	178	5
6	الأنعام	وهو الله في السماوات ..	3	183	9
			6	196	2
			65	157	8
			76	80	14
			95	132	3
			158	72	6
		حتي إذا جاء أحدكم ..	1	228	9
		قل هو القادر			
		فلما جن عليه الليل			
		يخرج الحي من الميت ...			
		هل ينظرون إل اتأويله ...			
7	الأعراف	المص			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
7	الأعراف	فلنقصن عليهم بعلم	7	164	12
		ولقد خلقناكم	11	225	8
		إنه يراكم هو وقبيله	27	32	4
		قل إنما حرم ربي	33	113	10
			33	148	5
			53	80	8
			143	32	12
		هل ينظرون إلا أن تأتيهم	143	52	10
		ولما جاء موسي	148	224	11
			172	3	14
			180	238	17

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		واتخذ قوم موسي	2	6	17
		وإذ أخذ ربك من بنىآدم ولله الأسماء الحسني	74	6	17
8	الأنفال	إنما المؤمنون الذين	2	6	16
		أولئك هم المؤمنون حقا..	2	110	3
9	التوبة	فسيحوا في الأرض......	2	110	4
		بالمؤمنين رؤوف رحيم ..	128	149	17
		وهو رب العرش العظيم..	129	139	6
10	يونس	بل كذبوا بما لم يحيطوا..	39	72	15
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
11	هود	وهو الذي خلق السموات	7	140	3
		واصنع الفلك بأعيننا	37	217	2
			37	217	12
		واستوت على الجودي ...	44	97	2
		ولما ذهب عن إبراهيم	74	196	15
12	يوسف	الر تلك آيات الكتاب ...	1	184	2
		وقالت امرأة العزيز	15	132	6
13	الرعد	قل من رب السموات	16	167	8
14	إبراهيم	وما أرسلنا من رسول	4	6	12
		وإن تعدوا نعمة الله	4	99	13
16	النحل	فهل على الرسول إلا البلاغ..................	34	54	9
		فسيروا في الأرض	35	231	6
		إنما قولنا لشئ إذا أردناه ..	36	110	3
		يخافون ربهم من فوقهم ..	40	224	18
		قل نزله روح القدس	50	151	17
		إنما يفتري الكذب	102	113	4
17	الإسراء	إن هذا القرآن يهدي	105	112	19
			9	112	15
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		وإذا أردنا أن نهلك قرية .	16	255	4
		ولا تقف ما ليس لك	36	113	8
		قل لو كان معه آلهة	36	148	9
			43	144	6
			49	240	13
			79	132	7

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
18	الكهف	ولا يظلم ربك أحدا	1	228	11
		وكان وراءهم ملك	65	8	5
19	مريم	كهيعص	65	22	20
		هل تعلم له سميا	65	28	10
			65	46	2
			65	57	18
			65	126	5
			65	138	5
			5	19	14
			5	28	14
			5	29	9
			5	36	5
			5	37	2
20	طه	الرحمن علىالعرش استوي			
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
20	طه	الرحمن علىالعرش استوى	5	39	10
			5	40	8
			5	40	14
			5	46	9
			5	49	3
			5	50	14
			5	53	10
			5	57	15
			5	61	9
			5	69	18
			5	86	17
			5	88	13
			5	95	12
			5	100	14
			5	101	10
			5	110	8
			5	112	8
			5	117	5
			5	118	2
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
20	طه	الرحمن علىالعرش استوى	5	119	14
			5	128	7
			5	136	1
			5	145	8
			5	164	11
			5	167	15
			5	170	14
			5	171	2

			5	173	4
			5	174	10
			5	175	9
			5	237	12
			71	149	16
			110	30	13
			19	153	9
		ولأصلبنكم في جذوع النخل	15	109	4
		....	115	139	9
		ولا يحيطون به علما	39	139	14
21	الأنبياء	وله من في السماوات ...			
22	الحج	فليمدد بسبب إلى السماء			
23	المؤمنون	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا			
24	النور	كسراب بقيعة يحسبه			
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
25	الفرقان	قل أنزله الذي يعلم السر .	6	163	17
		وقدمنا إلى ما عملوا	23	194	11
		وأنزلنا من السماء ماء ...	48	109	5
		وتوكل على الحي	58	240	15
26	الشعراء	إني لكم رسول أمين	107	112	5
28	القصص	ولما بلغ أشده واستوي ...	14	96	8
30		فخسفنا به وبداره الأرض	81	157	10
32	الروم	فأقم وجهك للدين حنيفا .	30	3	17
34	السجدة	ربنا أبصرنا وسمعنا	12	72	9
	سبأ	فلا تعلم نفس ما أخفي ..	17	74	4
		عالم الغيب لا يعزب	3	241	4
35		وهو العلي الكبير.........	23	153	4
	فاطر	إليه يصعد الكلم الطيب ..	10	40	8
			10	57	16
			10	59	10
			10	117	9
			10	152	8
			10	237	13
			44	241	4
		وما كان الله ليعجزه من..			
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
36	يس	والشمس تجري لمستقر ..	38	143	4
		اليوم نختم على أفواههم ..	65	222	12
			71	205	14

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		أولم يرو أنا خلقنا لهم	71	212	14
			71	217	6
			82	225	2
			6	199	17
		إنما أمره إذا أراد شيئا	35	54	11
37	الصفات	إنا زينا السماء الدنيا	35	80	3
			35	211	2
		ما منعك أن تسجد	35	213	6
			35	215	10
			65	154	6
			4	154	7
			23	6	8
			67	88	4
38	ص	قل إنما أنا منذر	2	153	5
39	الزمر	لو أراد الله أن يتخذ	7	139	16
		الله نزل أحسن الحديث ..	7	140	11
40		وما قدروا الله حق قدره ..			
	غافر	تنزيل الكتاب من الله			
		الذين يحملون العرش			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		كذلك يطبع الله على	35	132	9
		رفيع الدرجات ذو العرش	15	145	1
			2	153	6
41	فصلت	تنزيل من الرحمن الحيم ...	11	96	11
		ثم استوي إلى السماء	11	96	16
			21	222	15
			42	6	3
		وقالوا لجلودهم	1	228	10
		لا يأتيه الباطل من بين يديه	11	8	3
42	الشورى	حم عسق	11	23	1
			11	28	8
		ليس كمثله شئ	11	39	4
			11	43	1
			11	46	1
			11	57	17
			11	63	3
			11	86	10
			11	92	1
			11	102	15

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
42	الشورى	ليس كمثله شئ	11	104	5
			11	104	11
			11	104	14
			11	105	1
			11	105	3
			11	111	13
			11	114	4
			11	126	6
			11	128	16
			11	129	5
			11	129	8
			11	129	10
			11	129	13
			11	133	13
			11	155	17
			11	222	8
			13	97	1
			13	106	10
			84	163	10
43	الزخرف	لتستووا على ظهوره			
		وهو الذي في السماء			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
47	محمد	ذلك بأنهم اتبعوا	28	29	13
48	الفتح	يد الله فوق أيديهم	10	205	12
			10	212	17
			29	97	3
		فاستوي على سوقه	9	199	17
50			16	193	16
	ق	ونزلنا من السماء	16	195	5
		ونحن أقرب إليه	16	195	14
			30	51	12
			28	132	4
			47	107	16
51		يوم نقول لجهنم	56	3	13
	الذاريات	وبشروه بغلام عليم.......	3	112	3
		والسماء بنيناها بأيد	37	231	17
			14	216	3
53		وما خلقت الجن والإنس ..	14	217	1
	النجم	وما ينطق عن الهوي	14	217	11
54			27	58	15
		إن يتبعون إلا الظن	85	194	1
	القمر	تجري بأعيننا			
55					
56					
	الرحمن	ويبقي وجه ربك			

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
	الواقعة	ونحن أقرب إليه منكم			
56	الواقعة	ونحن أقرب إليه منكم	85	195	6
			85	195	14
58			1	174	7
	المجادلة	الله يسمع تحاوركما	7	38	17
		ما يكون من نجوي	7	183	12
			22	29	15
59			22	237	15
	الحشر	هو الله الذي لا إله إلا هو	12	197	10
65			2	29	6
66	الطلاق	الله الذي خلق سبع	4	211	9
			1	217	4
	التحريم	وهو العليم الحكيم	13	161	2
67		إن تتوبا إلى الله	15	161	5
	الملك	تبارك الذي بيده الملك ...	16	40	7
		وأسروا قولكم أو اجهروا	16	52	12
		هو الذي جعل لكم الأرض	16	59	9
		أأمنتم من في السماء	16	87	12
			16	108	10
			16	117	6

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
67	الملك	أأمنتم من في السماء ..	16	149	9
			16	150	4
			16	150	7
			16	150	8
			16	157	6
			16	157	11
			16	159	8
			16	159	15
			16	160	1
			16	160	13
			16	161	8
			16	162	3
			16	164	9
			16	166	15
			16	167	14
			16	168	7
			16	170	4
			16	171	6

رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
			16	177	14
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
69	الحاقة	أأمنتم من في السماء	16	178	1
			16	179	1
			16	183	8
		أم أمنتم من في السماء ...	17	159	15
		أولم يروا إلى الطير	19	161	13
		أمن هذا الذي هو جند ...	20	161	16
		ويحمل عرش ربك فوقهم .	17	102	2
			17	119	18
			17	125	7
			17	140	18
70	المعارج	من الله ذي المعارج	3	152	4
		تعرج الملائكة والروح	4	117	11
			4	152	3
71	نوح	وجعل القمر فيهن نورا ..	16	150	11
74	المدثر	إن هذا إلا قول البشر	25	72	17
75	القيامة	فإذا قرأناه فاتبع قرآنه	18	196	11
76	الإنسان	إنا خلقنا الإنسان	2	30	17
85	البروج	وهو الغفور الودود	14	29	8
			14	139	13
رقم السورة	اسم السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة	السطر
		والله من ورائهم محيط	20	169	2
87	الأعلى	سبح اسم ربك الأعلي	1	153	1
89	الفجر	وجاء ربك والملك	22	59	13
			22	60	9
			22	127	19
			22	203	4
98	البينة	رضي الله عنهم ورضوا ...	8	29	18
103	العصر	إن الإنسان لفي خسر	2	211	16
			2	213	6
112	الإخلاص	قل هو الله أحد	1	28	7
			1	29	10
			1	29	5
			1	103	9
			1	103	14
			1	126	3

5	136	1			
8	136	1			
11	188	1			
3	46	4			
			ولم يكن له كفوا أحد		

ثانيا

فهرس الأحاديث النبوية

س	ص	درجته	الحديث
10	141	صحيح صحيح	إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ....
2	77	صحيح صحيح	اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ....
2	197	صحيح صحيح	أما إنك لو أطعمته لوجدتني عنده .....
15	266	صحيح صحيح	إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا ..
9	142	صحيح صحيح	إن الله تعالى يقول : أين المتحابون ..
3	141	صحيح صحيح	إن الله قدر مقادير الخلائق ....
1	218	صحيح صحيح	إن الله لا يخفي عليكم ....
13	153	صحيح	إن الله لما قضي الخلق كتب عند ....
5	149		أنتم مسئولون عني فماذا أنتم قائلون ...
13	12	صحيح	إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده .

الحديث	درجته	ص	س
إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله	ضعيف جدا	191	6
إنكم سترون ربكم عيانا		33	10
إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر إن لله تسعة وتسعين		33	11
اسما............		4	17
اهتزعرش الرحمن لموت سعد........		144	4
جاءت المجادلة إلى النبي صلي الله عليه وسلم تكلمه			
....		173	5
الحجر الأسود يمين الله في الأرض ..		191	7

الحديث	درجته	ص	س
خرج النبي صلي الله عليه وسلم إلى هذا المصلي يستسقي			
....	صحيح صحيح	180	2
خلق الله آدم على صورته	صحيح	33	3
خير أمتي قرني		13	3
		49	1
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله	صحيح صحيح		
....		142	6
فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه .	صحيح صحيح	76	4
فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق			
....	صحيح صحيح	142	3
فسمعنا لذلك الجذع صوتا		223	9
فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع النبي صلي الله عليه	صحيح صحيح		
وسلم		222	17
فيأتون آدم فيقولون : يا آدم	صحيح	207	4
قال : يا جارية أين الله ؟ قالت : في			
السماء..............................		162	5
كان الله ولم يكن شئ قبله		115	1
		188	14
كنا مع رسول الله إذ سمع وجبة		112	13

الحديث	درجته	ص	س
لا تزال جهنم يلقي فيها وتقول هل من			
مزيد................................	صحيح صحيح	59	16
لقد قلت بعدك أربع كلمات	صحيح	141	6
ما بعث الله من نبي إلا كان حقا عليه		13	3
ما الكرسي في العرش إلاكحلقة من	صحيح		
حديد................................		134	11
	صحيح صحيح	201	6
ما منكم من أحد إلاسيكلمه ربه	ضعيف	227	4
مستقرها تحت العرش	صحيح	143	6
من قال في القرآن برأيه	صحيح	99	6
يا أباذر أتدري أين تذهب هذه		143	8
يارسول الله ألا نجعل لك منبرا	صحيح صحيح	223	4
يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع	صحيح		
....	صحيح	169	6
		210	11
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل		152	5
يد الله ملأي لا يغيضها نفقة		207	10
		209	9

الحديث	درجته	ص	س
يقبض الله يوم القيامة الأرض	صحيح	28	5
		88	7
يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين			
	صحيح	124	5
ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا	صحيح	61	1
		191	10
		204	8

ثالثا

فهرس الآثار

الأثر	قائله	ص	سطر
أجمعوا أن الله فوق سماواته عال على عرشه.......................	أبو نعيم	40	5
أخبر الله نبيه والمؤمنين أن أكمل لهم الإيمان......................	بن عباس	12	9
الاستواء معلوم والكيف مجهول....	الإمام مالك	8	9
		36	9
		95	15

الأثر	قائله	ص	سطر
المحكمات من آي القرآن ماعرف تأويله وفهم معناه وتفسيره	جابر بن عبد الله	201 68	2 11
الأثر	قائله	ص	سطر
مذهب السلف في الصفات إثباتها وإجراؤها على ظاهرها .... من زعم أن الله استوي علىالعرش استواء مخلوق على مخلوق	الخطابى	43	5
من زعم أن الله في شئ أو من شئ	محمد بن جعفر	39	3
	جعفر الصادق		
من شبه الله بخلقه فقد كفر	نعيم بن حماد	188	1
من يجئ يوم القيامة من يمنعه اليوم		43	3
	ابن راهويه		
من وصف الله فشبه صفاته	ابن راهويه	203	7
		13	3

* * *

رابعا

فهرس المراجع

قائمة بأهم المراجع

1– الإبانة عن أصول الديانة ، للإمام أبي الحسن الأشعري ، تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود ، طبعة دار الأنصار ، القاهرة سنة **1397** ه .

2– اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية للإمام ابن القيم المطبعة المنيرية بتصحيح الشيخ عبد الله بن حسن وإبراهيم الشوري عام **1351** ه .

3– أساس التقديس للإمام فخر الدين الرازي ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة سنة **1406**ه **1986**م

4– الاستقامة لإبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة مؤسسة قرطبة ، الطبعة الثانية القاهرة بدون تاريخ .

5– أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، تأليف محمد الأمين الشنقيطي طبعة عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

6- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق أحمد عصام الطالبي ، طبعة دار الأوقاف الجديدة ، بيروت بدون تاريخ .

7- أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية ، بعناية طه عبد الرؤف سعد ، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة بدون تاريخ .

8- الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل للدكتور محمد السيد الجليند طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة 1973 م .

9- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشي الدمشقي طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة سنة 1351 ه 1932م .

10- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، للأستاذ فالح بن مهدي آل مهدي طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة 1405ه .

11- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي طبعة دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة بدون تاريخ

12- جامع البيان عن تأويل القران لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري طبعة دار المعرفة ، بيروت لبنان ، سنة 1398ه 1978م .

13- الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي مع فتح الباري ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 ه 1986 م .

14- الجامع الصحيح ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة المكتبة السلفية ، القاهرة بدون تاريخ .

15- خلق أفعال العباد ، للإمام محمد بن البخاري ، تحقيق على سامي النشار وعمار الطالبي ، طبعة منشأة المعارف ، الإسكندرية سنة 1971م .

16- درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السعودية سنة 1403 ه 1983م .

17- الرد على الجهمية ، تأليف عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق على سامي النشار وعمار الطالبي ، ضمن عقائد السلف القاهرة بدون تاريخ .

18- الرد على الزنادقة والجهمية ، للإمام احمد بن حنبل ، نشرة قصي محب الدين الخطيب ، طبعة المطبعة السلفية ، القاهرة سنة 1399ه

19- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة عيسي الحلبي ، القاهرة سنة 1372ه 1952م .

20- سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة المكتبة التجارية ، القاهرة سنة 1369ه .

21- سنن الترمذي ، لأبي عيسي محمد بن عيسي الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، طبعة مطبعة المدني ، القاهرة سنة 1384ه 1964م .

22- سنن الدارمي ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، طبعة دار إحياء السنة النبوية القاهرة بدون تاريخ .

23- الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية طبعة القاهرة سنة 1400 ه .

24- السنن الكبري ، لأحمد بن الحسين البيهقي ، طبعة دار الفكر العربي دمشق سوريا ، ومعه الجوهر النقي لابن التركماني بدون تاريخ .

25- سنن النسائي ، شرح السيوطي ، لأبي عبد الرحمن بن شعيب بن على النسائي ، طبعة المطبعة المصرية ، مصطفة الحلبي القاهرة سنة 1383ه ، 1964م .

26- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، تأليف أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان طبعة دار طيبة 1409هـ 1988م .

27- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز على بن على الحنفي تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي القاهرة سنة 1392 هـ .

28- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، تأليف عبد الله بن محمد الغنيمان ، مكتبة الدار ، المملكة العربية السعودية سنة 1406 هـ .

29- الشريعة ، لأبي محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الأجري تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي ، طبعة أنصار السنة المحمدية القاهرة 1369 هـ .

30- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن القيم الجوزية ، طبعة دار الفكر القاهرة ، سنة 1398 هـ 1978 م .

31- صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1372 هـ .

32- صحيح الجامع ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، دمشق ، سوريا سنة 1399هـ .

33- الصفدية ، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم ، طبعة دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية ، الرياض سنة 1406 هـ .

34- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية ، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبعة المكتبة السلفية سنة 1407 هـ .

35- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة سنة 1407 ه 1986م .

36- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للأمام محمد بن على بن محمد الشوكاني ، طبعة مصطفي البابي الحلبي القاهرة سنة 1383ه .

37- الفتوي الحموية الكبري ، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة روضة الفسطاط ، القاهرة سنة 1398ه .

38- الفرق بين الفرق ، تأليف عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان سنة 1405ه 1985م .

39- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تأليف الأمام أبي محمد على بن أحمد بن حزم الظاهري ، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر والدكتور عبد الرحمن عميرة ، طبعة دار الجبل ، بيروت لبنان سنة 1405ه ، 1985م .

40- القضاء والقدر في الإسلام ، تأليف الدكتور فاروق أحمد الدسوقي طبعة دار الدعوة ، الإسكندرية ، سنة 1984ه .

41- القواعد السلفية في الصفات الربانية ، للشيخ محمود بن عبد الرازق بن على ، طبعة دار الخلفاء بالمنصورة ، سنة 1414ه 1993م .

42- القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسني ، للشيخ محمد الصالح العثيمين ، طبعة دار الأرقم ، الكويت سنة 1406 ه .

43- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1307 ه .

44- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ، لإبي الحسن على بن إسماعيل

الأشعري ، تقديم الدكتور محمود غرابة ، طبعة مطبعة مصر القاهرة سنة 1955م
.

45- مجموعة الرسائل للإمام الشهيد حسن البنا ، طبعة دار الشهاب بدون تاريخ .

46- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزية ، طبعة مكتبة المتنبي ، القاهرة سنة 1981م .

47- مختصر العلو للعلي الغفار ، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي تحقيق محمد ناصر الألباني ، طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق سوريا ، سنة 1401 ه ، 1981 م .

48- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، تأليف شمس الدين بن القيم الجوزي ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة سنة 1375 ه .

49- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، طبعة حيدر آباد ، الهند سنة 1342 ه .

50- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، طبعة دار المعارف ، القاهرة سنة 1374 ه 1955 م .

51- المعارضة والرد على أهل الفرق وأهل الدعاوي في الأحوال تأليف سهل بن عبد الله التستري ، تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر ، طبعة دار الإنسان سنة 1980م .

52- مفتاح دار السعادة ، للإمام شمس الدين بن القيم الجوزيه ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان بدون تاريخ .

53- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبعة مصطفي البابي الحلبي القاهرة سنة

1324ه .

54- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة مكتبة النهضة المصرية القاهرة سنة 1389 ه ، 1969 م .

55- الملل والنحل ، على هامش الفصل لابن حزم ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد السيد الكيلاني طبعة القاهرة سنة 1961م .

56- نجاة الخلف في اعتقاد السلف لابن قائد النجدي ، تحقيق الدكتور أبو اليزيد العجمي ، طبعة دار الصحوة القاهرة سنة 1405 ه 1985م .

57- نقد المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزه ، سليمان بن عبد الرحمن الصفع ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، سنة 1370 ه 1951 م .

* * *

خامسا

فهرس الموضوعات

* * *

* كتب للمؤلف *

1- توحيد العبادة ومفهوم الإيمان - الطبعة الأولي نفدت مطبعة التقدم - المنيرة - القاهرة .

2- توحيد الصفات بين اعتقاد السلف وتاويلات الخلف - الطبعة الثانية - دار نور الإسلام للنشر والتوزيع - المنصورة .

3- القواعد السلفية في الصفات الربانية - الطبعة الثانية مطبعة دار الوفاء - المنصورة .

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب 3541 / 1992
الترقيم الدولى / I.S.B.N
977 - 00 - 3230 - 1

ثانيا فهرس الأحاديث النبوية

ثالثا فهرس الآثار